الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي -جيجل-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



كينونة الذات في رواية "ترنيمة سلام"

لأحمد عبد المجيد

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- سمية بولجويجة
- فلة بولاعة

إشراف الأستاذة:
- سامية بن عكوش

تمت مناقشتها بتاريخ 21 أكتوبر 2020 أمام اللجنة المكونة من:

(الاسم واللقب)	(الرتبة)	(الصفة)
نبيلة أعبش	دكتورة	رئيسا
سامية بن عكوش	أستاذة	مشرفا
محمد زكور	دكتور	ممتحنا

السنة الجامعية: 2019-2020

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات .....

مقدمة ..... أ-ج

مدخل نظري: كينونة الذات والوجـود 4–34

- الوجود والكينونة 4
- الوجود والعدم 14
- إشكاليات الذات والوجود في الفلسفة الغربية 17

الفصل الأول: كينونة الذات المزيفة في الروايـة 35–54

المبحث الأول: صورة الأنا المزيفـة في الروايـة.....35

1– الكينونة الفكرية للأنا 35
2– الكينونة الشعورية للأنا 39
3– علاقـة الذات بالجسـد 43

المبحث الثاني: علاقة الأنا بالآخر 45

1– صور الأنا عن الآخر 45
2– العلاقة الشعورية للأنا مع الآخر 48
3– العلاقة السلوكية للأنا مع الآخـر 50

المبحث الثالث: مآل الكينونة المزيفة في الرواية 53

1– لحظة امتحان اليقظة الانتحار 53

الفصل الثاني: كينونة الذات الحقيقية في الرواية 53–79

المبحث الأول: أثر الكينونة الجديدة على الذات والآخـر 54

1– أثر الكينونة الفكريـة الجديدة 54
2– أثر الكينونة الشعوريـة الجديدة 59

المبحث الثاني: استراتيجية الذات لبناء الكينونة 65

1- التأمل واتحاد الذات بالكل 65

2- انحلال وهم الانفصال بين الذات والآخر 68

3- الذكر وسبيل فناء الأنا في الله 70

المبحث الثالث: مرايا الذات في الرواية 72

1- سمات الشخصيات الرئيسية في الرواية 72

2- مرايا وانعكاس الشخصيات الرئيسية في الرواية 73

خاتمة 80

ملاحق .....

ملخص.....

قائمة المصادر والمراجع .....

مقدمة

مقدمة

تسيطر المادة على خيارات الإنسان؛ إذ يبحث عن الماديات لتكون له مكانة مرموقة في المجتمع. تصور الرواية طريقة العيش من خلال بطلها، حيث أن الرواية مسرح يرتدي فيه الشخصية الرئيسية قناع الضحية، ويؤدي دوره على أكمل وجه. وبالتالي تختفي ذاته الحقيقة وراء القناع.

تقدم لنا الرواية محتوى فريدا لتجربة من تجارب الإنسان المسكوت عنها؛ أو المدرجة ضمن هامش الكتابة الأدبية. وتطرقت القليل من الروايات العربية فقط لهذا الموضوع، إذ أن الجانب الروحاني لا يلقى الاهتمام الكبير في الروايات العربية. ويهتم به رواد التنمية البشرية خاصة عند الغرب، وفئة المتصوفة عند العرب. حيث تدور مدار السرد حول البحث عن كينونة الذات للشخصية الرئيسية المتمثلة في خالد، ولاحظنا ارتباط سؤال الذات بعلوم التنمية السابقة وبالوجود من جهة أخرى.

يعتبر موضوع البحث مادة جديدة للدراسة، لأنه لم تتطرق إليه الدراسات المعاصرة باعتبار أن هذه الرواية (موضوع البحث) رواية معاصرة. فالدراسات السابقة عنها شبه منعدمة. وهذا البحث يفتح بابا يحيلنا إلى إعادة النظر في روايات الوعي، وكذا التعمق في الجانب الروحاني للإنسان، والوقوف على علاقته بذاته وبالوجود.

اخترنا لهذا البحث عنوان "**كينونة الذات في رواية ترنيمة سلام**" للكاتب أحمد عبد المجيد. فمن خلال قراءتنا الأولية للرواية لاحظنا أن سؤال الذات سؤال محوري فيها يرتبط بها في كل محطاتها السردية، وقد ارتبط سؤال الذات ببعدين نفسي ووجودي.

ومن هنا برزت لنا الإشكالية الآتية:

كيف تستطيع الذات إنتاج كينونتها في الوجود وهي تواجه معارضين: الأفكار، المشاعر، الآخر. ومن هذه الإشكالية الرئيسية انشطرت الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ما هي صورة الكينونة المزيفة في الرواية؟
2- وما هو مآل هذه الكينونة؟
3- بعد وصول الذات إلى الكينونة الحقيقية، كيف أثرت هذه الكينونة الفكرية والشعورية الجديدة في علاقة الذات مع ذاتها ومع الآخر؟
4- وما هي الإستراتيجية التي اعتمدتها الذات في بناء الكينونة؟ وما علاقة الكينونة بالوجود؟

من خلال الإشكالية السابقة وضعنا فرضيات للإجابة عنها. ألا وهي:

1- تجلت صور الكينونة المزيفة في الرواية في كثير من المرات في شكل أفكار ومشاعر البطل حول ذاته وحول الآخر، فهو يعيش في حالة من الإنكار وعدم تحمل المسؤولية، كما انه مستغرق في رثاء ذاته. ويرى أن الآخر والعالم الذي يعيش فيه ظالم له.
2- يحول كل ما هو زائف إلى الزوال؛ ومآل هذه الكينونة المزيفة هو الزوال أيضا، فكل ما لا تولد به يمكن الاستغناء عنه، وهذا ينطبق أيضا على كل الصور المزيفة التي تحول دون وصول الفرد إلى كينونته.
3- أثر وصول الذات لكينونتها الحقيقية بالإيجاب على أفكار ومشاعر البطل، نحو ذاته ونحو الآخر، وانعكس ذلك في تصرفاته وسلوكاته التي تناقض كل ما فعله عندما كان يعيش ذاته المزيفة.
4- اعتمد بطل الرواية على مجموعة من الطرق والاستراتيجيات لبناء كينونته الحقيقية مثل: التأمل، الاتصال بالوجود، وعيش مشاعر الفناء والتسليم، كل هذا سوف يربطه بمصدر الوجود الذي يتيح له الوصول إلى السلام الداخلي الدائم.

اعتمدنا للإجابة عن الإشكالية على أليات التحليل التي تعتمد على بعض المفاهيم الوجودية عن الكينونة والذات والوجود، وأخرى نفسية مثل: الأنا، الوعي واللاوعي. كما هي عند كارل يونغ.

قسمنا البحث إلى مدخل نظري وفصلين تطبيقيين: في المدخل النظري الموسوم بـ "**كينونة الذات والوجود**" تطرقنا فيه إلى المفاهيم والمصطلحات التي تتيح فهم البحث، تمثلت هذه المفاهيم في: الوجود، الذات، الكينونة. كما هي عند أبرز الفلافسة الوجوديين، وقد أدرجنا الترابط التلقائي بين هذه المفاهيم. بالإضافة إلى مفهوم الشعور وما ينبثق عنه من مشاعر؛ لأنها مرتبطة بالذات. قدمنا تعريفات هذه المفاهيم خاصة عند كل من: كيركوغورد، هيدغر وسارتر. كما اعتمدنا كتب علم النفس التحليلي لكارل يونغ.

الفصل الأول المعنون بـ "**كينونة الذات المزيفة في الرواية**" قسمناه إلى ثلاث مباحث:

عنونا المبحث الأول بـ "صورة الأنا المزيفة" وتطرقنا فيه إلى الكينونة الفكرية والشعورية للأنا المزيفة، وعلاقة الذات بالجسد.

عنونا المبحث الثاني بـ "علاقة الأنا بالآخر" واشتملت صور الأنا عن الآخر، العلاقة الشعورية للأنا مع الآخر، والعلاقة السلوكية للأنا مع الآخر.

عنونا المبحث الأخير من الفصل الأول بـ "مآل الكينونة المزيفة في الرواية" وتحدثنا فيه عن لحظة امتحان اليقظة التي تخضع لها الشخصية الرئيسية للرواية، وهي لحظة تحول في مسار السرد الروائي. وتجلت هذه اللحظة في محاولة البطل الانتحار.

عنونا الفصل الثاني بـ "**كينونة الذات الحقيقية في الرواية**" وقسمناه إ إلى ثلاث مباحث:

عنونا المبحث الأول بـ "أثر الكينونة الجديدة على الذات والآخر" وخصصنا فيه الحديث أولا عن أثر الكينونة الفكرية الجديدة على الذات والآخر. وتطرقنا ثانيا إلى أثر الكينونة الشعورية الجديدة.

أما المبحث الثاني فعنوناه بـ "استراتيجية الذات لبناء الكينونة" وتحدثنا فيه عن الاستراتيجيات التي تعتمدها الذات لبناء كينونتها الجديدة، وهي: التأمل واتحاد الذات بالكل، انحلال وهم الانفصال بين الذات والآخر، الذكر وسبيل فناء الأنا في الله.

أما المبحث الثالث فعنوناه بـ "مرايا الذات في الرواية" وخصصناه لإبراز سمات الشخصيات الرئيسية في الرواية، ونقصد شخصية خالد التي تتجلى في صور مرآوية ثلاث: خالد محفوظ، خالد محمد، خالد عبد الدايم. وأبرزنا العلاقة بين هذه الصور المرأوية الثلاث؛ أهي علاقة تطابق أم اختلاف. وقصدنا من خلال هذا البحث الوصول إلى الكينونة الحقيقية في الرواية.

اعتمدنا في هذا البحث على مراجع فلسفية مثل كتاب **مارتن هيدغر** "**الكينونة والزمان**". وفي مجال التحليل النفسي كتب **كارل يونغ** "**التنقيب في أغوار النفس**" و "**جدلية الأنا واللاوعي**". وفي علوم التنمية البشرية كتاب **واين داير** "**رغبات محققة –إتقان فن التجلي**" وأيضا كتاب **إكهارت تول** "**أرض جديدة**".

واجهت هذا البحث بعض العقبات والصعوبات، ولعل أهمها: قلة الدراسات عن روايات الوعي والذات.

وفي الأخير نتوجه بالشكر إلى الأستاذة المشرفة "**سامية بن عكوش**" التي وجهتنا طيلة فترة البحث، واهتمت بأن يخرج البحث بطريقة علمية منهجية سليمة. كما نتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة التي تكبدت عناء قراءة البحث وتقييمه.



مدخل نظري



1. الوجود والكينونة

2. الوجود والعدم

3. إشكاليات الذات والوجود في الفلسفة الغربية

مدخل نظري: كينونة الذات والوجود

إن الإنسان ذات وموضوع في وقت واحد، فكرة وتعبير، مادة وإدراك، فالإنسان يدرك الموضوع ويعيه حسيا وعقليا ويتناوله تفكيرا ماديا أو خياليا، ويعبر عن كل هذا باللغة وبغير اللغة، فلفهم النفس الإنسانية يجب أن نركز على عناصر أساسية في تكوينه ألا وهي: الذات والمشاعر والكينونة، وأيضا الوجود الذي ينتمي له فمن هذه الأساسيات ننتقل إلى قضايا أخرى هامة تهتم بالإنسان والتي تدخل في حقل فلسفة الوجود.

احتوى المدخل هذه الأساسيات وفصل فيها، وتضمن ثلاث عناوين أساسية وهي:

1- الوجود والكينونة
2- الوجود والعدم
3- إشكالية الذات والوجود في الفلسفة الغربية

1-الوجود والكينونة:

يقودنا البحث في ماهية الذات حتما إلى البحث عن معنى الوجود، ذلك أنه لا يمكن أن يكون خارج نطاق الوجود؛ فالوجود "نسيج من الواقع والإمكان يحاك على نوال الزمان سواء كان وجودا مطلق أو وجودا معينا، وبذلك فغاية الموجود هي أن يجد ذاته وسط الوجود"[1]. فالذات إذن هي إحدى الموجودات التي تبحث بجد عن نفسها وسط الوجود.

وإذا تعمقنا في معنى الوجود أكثر فقد "يراد بالوجود اصطلاحيا مصدر وجد أو كان (**Etre**) فيكون معناه الوجود الحقيقي أو الواقعي، وقد يراد به معنى أهم من ذلك فينطلق على وجود الشيء في ذاته، أو على وجود الشيء بالشيء أو للشيء، ووجود الشيء للشيء يكون بمعنيين: الأول وجوده لغيره، بأن يكون رابطا بين الموضوع والمحمول، وغير مستقر بالمفهومة عنه، ويسمى وجودا رابطيا. أما الثاني فهو وجود الشيء لغيره بأن يكون محمولا عليه، ومستقلا بالمفهومة عنه، كوجد الأغراض"[2]. فالوجود إصلاحيا إذن يأتي على ثلاث صور للأشياء: الصورة الذاتية للشيء (الشيء في ذاته)، وكذلك علاقة الشيء بالأشياء الأخرى (وجود الشيء بالشيء ووجود الشيء للشيء).

[1] إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص23.
[2] المرجع نفسه، ص25.

ينقسم الوجود إلى نوعين: "وجود خارجي ووجود ذهني، فالأول عبارة عن كون الشيء في الأعيان وهو الوجود المادي، أما الثاني فهو عبارة عن كون الشيء في الأذهان، وهو الوجود العقلي أو المنطقي"[1].

تدخل قضية الكينونة ومفهومها ودراستها لدى العلماء في قضايا الوجود وترتبط بها حيث ان الكينونة من حيث تعريفها اللغوي أنه قد جاء في القاموس المحيط للفيروز بادي تعريف لغوي لهذا المصطلح والذي هو من "الكون: الحدث-كالكينونة والمكائنة = الحادثة وكونه = أحدثه، و≈الله الأشياء = أوجدها والمكان: الموضع، كالمكانة = أمكنة وأماكن. ومضيت مكانتي ومكينتي أي طيتي.

وكان=ترفع الاسم وتنصب الخبر.كاكتان، والمصدر = الكون الكيان الكينونة.

وكناهم، أي، كنالهم، عن سيبويه. وكنت الغزل = عزلته والكنتيو الكنتنيو الكوني: الكبير العمر.

وتكون كان رائدة، وكان عليه كونا وگيانا وكيانا وأكتان = تكفر به وكيوان=زحل، ممنوع و«سمع الكيان» =كتاب للعجم. والاستكانة = والمكانة = المنزلة والكون = لحم باطن الفرج.

كيون، والكينة: النبقة، والكفانة بالكسرة الشدة المذلة، والحالة. والمكتان: الكفيل وأكأنه لله أكانة: خضعه وأدخل عليه الذل وأكتان حزن وهو يسره"[2].

نذهب إلى المفهوم الاصطلاحي المتداول حول مصطلح الكينونة والذي هو في أساسه وغالب تعريفه يصب فيما يقصد به الشعور أن صح القول، فالمصطلح الكينونة له ارتباط وثيق بالوجود والحياة، وبالتعبير الدقيق الكينونة هي تلك الدائرة التي تتخذ من الوجود والشعور والحياة النقط الأساسية التي تخرجها في شكلها الدائري المكتمل المعبر عن نفسه، هذا من جهة ومن جهة أخرى الكينونة هي ذلك الفعل الشعوري والفعل الذي يدل على الوجود الفعلي للإنسان ولماهيته وكذا ذاته. ولما نقول كينونة سرعان ما يتبادر إلى الذهن كل من كلمتي الوجود والذات وكل منهما له ارتباط وثيق بالمصطلح الكينونة إلا أن هذه الأخيرة هي أشمل وأوسع وأدق من حيث المعنى وكذا الخصائص "والحقيقة أن سمات الكينونة لا تبرز خصائص للقائم أمامنا، لذلك فإن كلمة "وجود" تؤكد، في التحديد الهيدغري، على أن الإنسان منشغل ومهتم بوجوده دائما أن "ماهيته تكمن في وجوده" بمعنى أنه يفهم ذاته انطلاقا من انجازه لكونه... فماهية الإنسان بما هو كينونته، ليست ماهية مكتملة، ولا موضوعا يمكن أن تحدد خصائصه، وإنما يميز الإنسان عن الكائنات الأخرى هو كيفيته الخاص للكون"[3].

---

1 إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، م.س، ص 25

2 الفيروز بادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004م–1425هـ، ص 1237-1238

3 أحمد أبا المعالي ولد سالم فال: فينومينولوجيا الأحوال الوجدانية عند هيدغر، مؤسسة مؤمن بلا حدود لدراسات والأبحاث – قسم العلوم الإنسانية والفلسفية، دط، دت، ص 5-4

مما سبق يمكننا أن نخلص إلى أن الكينونة هي الحياة والوجود فعندما نقول لنكون فلمقصود بها هو لنعيش، والكينونة لها اتصال مع الداخل الإنساني، وهي وعي الغبطة بقول آخر هي الذات الظاهرة والباطنية المتواجدة في داخل الإنسان، وهي واسعة من حيث تعريفها باعتبار أنها متصلة بالتصورات العليا وكذا التصورات الدنيا، فالكينونة هي من المصطلحات، التي تحمل معنى واسع وشامل ولكن أساسه الحق هو الوجود.

ذهب العديد من الفلاسفة الغربيين إلى جعل مصطلح الكينونة قالب خصب للدراسة، وكان لكل منهم تصوره الخاص، حيث اعتبروا أن الكينونة من المصطلحات التي لها ارتباط بذات الإنسانية ذلك بأن هذه الأخيرة أحد أهم المبادئ الفلسفية الوجودية، باعتبار أن هذه الأخيرة تعود جذورها إلى صلب الانطربولوجيا القديمة، وهذا ما ذهب إليه الكاتب والفيلسوف هيدغر والذي بين لنا في كتابه «الكينونة والزمان»، تعريفا لمصطلح الكينونة وذلك من خلال ما قدمه لنا المترجم فتحي المسكيني بقوله: "إن فهما ما للكينونة متضمن بعد في كل مرة ضمن كل ما يدركه المرء من الكائن». غير أن «كلية» «الكينونة» ليست كلية الجنس إن «الكينونة» لا تحيط بالناحية العليا للكائن، إذا ما كان هذا مفصلا على صعيد التصور طبقا للجنس والنوع. إن «كلية» الكينونة «تتخطى» كل كلية من جهة الجنس فإن الكينونة طبقا لتخصص الانطربولوجيا الوسيط شيء «متعال»"[1] فعندما نتمعن جيدا في محتوى هذا التعريف يمكننا أن نخلص إلى أن الكينونة من منظور هيدغر هو ذلك اللفظ الذي هو غير قابل للتعريف من حيث التصور، وأنه من حيث معناه لا يرتبط بالكائنات فقط بل هو مفهوم يرتبط بالتصور المفهوم بنفسه، باعتبارها ذلك السلوك الذي يرتبط بذات، وبتالي فهي لها لفظ آخر مرتبط بكينونة الكائن.

ذهب مارتن هيدغر في كتاب «الكينونة والزمان» إلى إظهار معنى آخر للكينونة والذي هو يتصل بالإنسان حيث قال: "إن النفس «نفس الإنسان» بوجه ما هي الكائن؛ «النفس» التي تؤلف كينونة الإنسان، إنما تشكل ضمن الطرق التي بها تكو، عن كل كائن بالنظر إلى أنه -كائن و كيف هو- كائن، ذلك يعني دائما أيضا ضمن الكينونة"[2]. وهنا يمكننا أن نقول بأن صاحب القول جعل من الإنسان و نفسه هي العناصر الأساسية التي تقوم عليها ماهية الكينونة، حيث يتم من خلالها التعبير عن أي كائن .

فالنظرة الهيدغرية للكينونة اتصلت بكل من الوجود و الحياة وبالمقابل نجد أن كل هذين الأخيرين يتصلان عند هيدغر بالشعور و النفس و الذات ،و هذه المصطلحات عنده تدخل تحت ما يعرف بالكينونة و الوجود، فهيدغر درس الكينونة على أنها ذلك الموضوع ، العام والشامل الذي تتجزأ تحته عدة مواضيع لها علاقة بالذات الإنسانية، وبالمقابل نجد الفيلسوف جان بول سارتر هو الآخر اتخذ من الكينونة موضوعا لدراسة وهذا ما نلحظه في كتابه «الكينونة العدم»، حيث تحدث فيه بشكل مفصل عن الكينونة موضحا تعريفا له قائلا أن "معنى الكينونة يصلح لكينونة كل ظاهرة بما في ذلك كينونة المعنى ذاته"[3]. وهذا التعريف الذي تكلم عنه سارتر

[1] مارتن هيدغر: الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، مر: إسماعيل إسحاق، دار الكتب الجديدة، ط1، 2012، ص 51.

[2] المرجع نفسه، ص 67.

[3] جان بول سارتر: الكينونة والعدم– بحث في الانطربولوجيا الفنومينولوجية، تر: دنقولا متيني، مر: عبد العزيز العيادي، مركز دار الوحدة العربية، ط1، 2009.

يصب في أن الكينونة هي ذات معنى شامل يخص كل ظاهرة سواء كانت خاص بالإنسان أو غيره، كما أن كتاب «الكينونة والعدم» لسارتر جاء مفصلا لموضوع الكينونة من جهات عدة حيث نجد سارتر يقول فيه: الكينونة كائنة، الكينونة هي في ذاتها، الكينونة هي ما هي عليه هذه هي الخصائص الثلاث التي أتاح التفحص المؤقت لظاهرة الكينونة أن ننسبها إلى كينونة الظواهر"[1]. من خلال هذا القول نذهب تدقيق آخر لسارتر في دراسته للكينونة مبينا لنا خصائص الكينونة، كما تحدث عن نوعين من الكينونة وميز بينهما قائلا: "يميز سارتر بين الكينونة في ذاتها والكينونة لذاتها، فالكينونة في ذاتها هي أولا كينونة هذا الكون اللامتناهي الذي يتميز «بالخارجانية اللامبالية»"[2]. وذهب أيضا إلى أن كينونة الوعي هي لذاتها حيث قال "إن كينونة الوعي هي لذاتها، لان الوعي يعي ذاته كما يعي العالم الخارجي أنه موجود بالنسبة إلى ذاته، ولأجل ذاته يسبب انعكاسته"[3]. فتعمق دراسة ساتر حول موضوع الكينونة تم تناوله من زاويتين زاوية الكينونة في ذاتها ولذاتها مبينا الفرق بينهما، ويعد مصطلح الكوجيتو عند سارتر هو المنطلق الأساسي الذي يتم من خلاله البحث عن الكينونة قائلا: "إن إمكانية الكوجيتو وانعكاسية الوعي وقدرته «القصدية» على أن «يموضع» ما يطرحه، وأن ينسلخ عن ذاته، ويوجد بذاته، كل ذلك يجعل من الوعي كينونة متعالية"[4]. فما أطلق عليه سارتر بالكوجيتو هو يمثل عنده المبدأ الأساسي الذي يرسم لنا الطريق للوصول للكينونة، ومن خلال كل ما سبق يمكننا أن نصل إلى أن المعنى الدقيق للكينونة عند سارتر وزوايا دراسته لها قائم على ثلاث نقط أولها الكوجيتو والكينونة لذاتها والكينونة في ذاتها .

تتعلق الكينونة بمجموعة الاسترجاع والعودة بالأفكار والرسوم والمناظر والذكريات وكل ما مر به الإنسان وخزنه على شكل شعور مثمر في ذاته، وهي الأداة التي يعتمدها الفرد عندما يريد أن يعبر عنما يختلج في داخله، وهذا ما يوضحه لنا كتاب الإنسان بين الجوهر والمظهر للكاتب إريك فروم حيث يقول في تعريفه للكينونة إن "الكينونة هو الاستعادة الحية للكلمات والأفكار، للمناظر والرسوم والأصوات والموسيقى، أي أنه الربط بين ما نريد تذكره والملابسات الكثيرة المحيطة به. إن روابط التذكر في أسلوب الكينونة لا هي ميكانيكية، ولا هي منطقية خالصة ولكنها حية، حيث ترتبط فكرة بأخرى بفعل ذهني أو شعوري مثمر، تجري تعبئته عندما يبحث الإنسان عن الكلمة المناسبة"[5]. فالكينونة التي تكلم عليها صاحب القول هي من منظوره تلك التي تتمثل في مجموع الذكريات والمشاعر التي يخزنها الإنسان في نفسه والتي يكتسبها من خلال المحيط الذي يعيش به، وما يريد الفرد تذكره سواء كان ذلك بشكل شعوري أو ذهني؛ أي أن الكينونة هي مجموعة المشاعر المكونة انطلاقا من المحيط الخارجي للفرد، والتي يقوم بتخزينها واسترجاعها بطريقة ذهنية أو شعورية.

يذهب الفيلسوف كارل ماركس إلى منحى آخر حول معنى الكينونة، حيث يرتبط هذا الأخير عنده بالفاعلية، وهذا ما ذكره أريش فروم في كتابه كينونة الإنسان حيث قال: "ماذا قصد ماركس بالكينونة؟، إن السمة

[1] جان بول سارتر: الكينونة والعدم، م.س، ص 43.

[2] المرجع نفسه، ص 10.

[3] المرجع نفسه، ص 10.

[4] المرجع نفسه، ص 10.

[5] إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد زهران، مر: لطفي فطيم، عالم المعرفة، دط، دت، ص 43.

الأكثر عمومية للكينونة هي "الوعي الحر الفعال" الذي يعتبره ماركس "طبع النوع، طبع الجنس البشر"... إلا أن ماركس قد استعمل المصطلح بطريقة مختلفة عن الاستعمال الحديث والذي وفقا له أن تكون فعالا يعني أن "تفعل شيئا ما" مهما يكن هذا الشيء"[1]. فالكينونة عند ماركس ارتكزت على أساس أن يكون الإنسان حرا في التعبير عما يريده بطريقة حرة وواعية، وتكون هذه الطريقة والغاية الحرة التي يريدها الإنسان فعالة، وبتعبير آخر أن يبرز فعاليتها الروحية والتي تكون متفقة مع الفضيلة، حيث تكون هذه الأخيرة أكثر اكتمالا، فتأخذنا إلى تحقيق غاية الفرد وكينونته المرجوة.

نلاحظ أنه كان لكل واحد من هؤلاء الفلاسفة زاويته الخاصة حول دراسة الكينونة، إلا أنه إذا ما أمعنا النظر جيدا نجد أنه هناك تقارب بين كل تلك المفاهيم، حيث أن كل من جان بول سارتر وهيدغر اتفقا في نقطة أن الكينونة مصطلح يتمحور في ذاته، وهي نفس الفكرة التي تناولها هيدغر في دراسته للكينونة حيث اعتبر هذه الأخيرة هي تعبر عن نفسها بنفسها، وكذلك اتفقا في نقطة الشمولية والكلية لمصطلح الكينونة، وأنها متعالية عن التصورات الدنيوية وكذا العليا.

تأخذنا الكينونة إلى مصطلح التنمية البشرية، وهو من المصطلحات التي تنقلنا لا إراديا إلى نقطة متفق عليها وهي العنصر البشري، حيث أن علم التنمية البشرية يعتبر الإنسان هو العنصر المهم في دراسته، بل هو أساس نشأة ما يسمى اليوم بعلم التنمية البشرية، حيث يركز هذا العلم في دراسته للإنسان على عوامل أساسية من بينها و أهمها؛ العامل الروحي الذي له علاقة بكينونة الإنسان، وفي هذه النقطة يرى علماء التنمية البشرية بأن الكينونة كمصطلح يدرس لديهم على أنه متداخل إلى أقصى الحدود مع التنمية البشرية، فالدكتور حامد عمار في كتابه دراسات في التربية والثقافة تحدث عن ذلك قائلا: "يتحدد مفهوم التنمية البشرية على أنه المستوى الذي تصل إليه حالة الإنسان في كينونته في فترة زمنية محدد من حيث قدراته وطاقته الإنسانية المتعددة والمركبة."[2] فالكينونة من منظور باحثي التنمية البشرية هي عبارة عن تعبيرات الإنسان عن حالته الروحية وعملية تحريرها من خلال "إشباع احتياجات البقاء والتطور والتواصل المشتركة والتحرر والحرية والانتماء والكرامة في مجتمع من المجتمعات"[3].

[1] إيريش فروم: كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 172.

[2] حامد عمار: دراسات في التربية والثقافة –مقالات في التنمية البشرية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط6، دت، ص 47.

[3] المرجع نفسه، ص 47.

ذهب باحثوا التنمية البشرية في خضم تناولهم لموضوع الكينونة في دراساتهم، إلى أن هذه الأخيرة تقوم على أساس الصيرورة والتي تجعل الإنسان هو أساس الدراسة، كما نجدهم إن الكينونة عند دارسي التنمية البشرية ليست هي الركيزة الوحيدة التي تعرف من خلالها فقط، فهم يرون بأنه "إذا كان لكل مجتمع إستراتجية الخاصة في تنمية تلك القدرات البشرية وما تستلزمه من حاجات مادية وغير مادية، إلا أنه من الضروري ألا يقتصر مضمون التنمية البشرية على حالة الكينونة. وإنما ينبغي أن تمتد إلى حالة الصيرورة"[1]. ولكن هذه الصيرورة في أساسياتها هي تقوم على إشباع حاجيات الإنسان الروحية والاستمرار على تنمية هذه الحاجيات إلى أقصى الحدود، والتي تصل بذلك بالإنسان إلى تحرير كينونته وذلك "بإشباع الاحتياجات الإنسانية بصورة متنامية ومستدامة، وفي أضعف حدودها الحفاظ على مستوى تلك الحالة الإنسانية من التردي، حتى تتاح الظروف الملائمة للانطلاق من جديد نحو تحسين تلك الحالة وتناميها"[2].

مما سبق ذكره أعلاه، أن الكينونة في حقل التنمية البشرية تمحورت في أنها "الكينونة الراهنة والصيرورة المنشودة لحالة الإنسان تكونان معا هذا البعد الأول"[3]. أي أن المداومة والصيرورة على إشباع حالات الإنسان وحاجاته الروحية التي تأخذه إلى تحرير كينونته والوصول إليها هي تمثل العنصر الأول الأساسي الذي تعبر عنه التنمية البشرية.

كان للفكر الصوفي هو الآخر مجالا خصصه للحديث عن الكينونة، فالفلاسفة المتصوفة اعتبروا قضية الكينونة لها اتصال دائم وملتصق بمصطلح «المتعالي أو التسامي»، فكل من هذين الكلمتين تمثلان تجربة الكينونة التي تتماها في الطرق التي اتبعها الصوفيون من ثقافة مختلفة ليصلوا إلى تجربة المتعالي، التي يناشدونها فهذا المتعالي عند المتصوفة هو ما يمكننا أن نعبر عنه بالكينونة الذاتية للإنسان، و التي يصعب بلوغها فهي مثلت عند المتصوف أهم الغايات التي كافح المتصوف لبلوغها ومن هذا التسامي والتعالي الذي يعبر عنه المتصوفة فيما يخص الكينونة، هو الذي يرتبط بالإلهية وبتعبير آخر الكينونة الإلهية حيث "تستمد الصوفية مصدر طاقتها من التسامي الروحي بتلاشي الوجدان البشري في الكينونة الإلهية المطلقة"[4]. وذهب المتصوفة إلى ربط الكينونة بالوجودية وكذا الذات، حيث "تستمد الوجودية طاقتها من ينبوع الذات البشرية في ذاتها، بعد أنها مصدر الطاقة برمتها ومن ثم يكون الإنسان خالق نفسه أوله ذاته"[5]. وهذا القول يأخذنا إلى أن الوجودية هي نقطة انطلاق الإنسان للوصول لمصدر الطاقة المتعالية السامية التي بموجبها تتحقق كينونة الفرد.

[1] حامد عمار: دراسات في التربية والثقافة، م.س، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص 47.

[3] المرجع نفسه، ص 55.

[4] عبد القادر فيدوح: معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، دار صفحات لدراسات والنشر، ط1، 2012م، ص 123.

[5] المرجع نفسه: ص 123.

اعتبر المتصوفة أن الكينونة وتحقيقها تستلزم الإحاطة بالوجوديات ذلك من خلال جعل كل من "الصوفية والوجودية تشتركان في سعيهما بتجاوز وجودها إلى الوجود المطلق"[1]. وفي نفس السياق الذي ذهب إليه المتصوفة حول أن الكينونة هي ذلك المتعالي نجد أنه "شعور صادر من تجاوز الإنسان لوجوده نحو وجود الآخرين ويؤكد «كيركجارد، **kierkegaardsoren**» أن الإنسان يتعالى هو كذلك بغية التوصل إلى ذات الخالق، وتجاوز عالمه وجوده الذاتي في تجربة ذاتية ممكنة"[2]. كما اعتبر المتصوف التوغل في باطن الأشياء من الأدوات المعتمد للوصول للكينونة، معتمدين في ذلك على مقابلة مصطلح الكينونة والذي هو النمو، فالصوفي ومن أجل تحقيقه لمبتغاه الذي يناشده وهو ما يطلق عليه «الكينونة الأسمى» عمل "الصوفي أن يتوغل بالوعي الإنساني نحو أعمق معاني السمو تفاهة الحياة وماديتها وحطتها، وأن يخلص الأنا من سجنه ويخرجه من هشاشة الواقع، ويحلق به في سماوات المطلق غير المتناهي بغية تجديد النبض الروحي وارتفاع أعلى درجات الصعود نحو المتعالي"[3]. والكينونة التي ناشدها المتصوفة هي التي تقوم عندهم على، تحرير الذات الإنسانية «الأنا»، والارتقاء بها إلى اعلي المراتب وإخراجها من سجنها أعادت بعثها من جديد والنفخ فيها بالنفس "المطلق الإلهي في انبثاقه الذي يبثها إسراره، وذلك حينما يباشر الكشف عن استمرارية عظمة الكون الأعلى، لحظة مداعبة الروح في صمته"[4].

يمكن القول كخلاصة عامة شاملة لمفهوم الكينونة عند المتصوفة، أنها عبارة عن أن الذات تعود إلى موطنها ومستقرها الأساسي الذي ساهمت عنه، والرجوع بها إلى الأصل وذلك يكون بوعي هذه الذات لذاتها وسعيها إلى التفرد ومعايشة الواقع وجدانيا، وهذه النقطة الأخيرة تأخذنا إلي قضية متصلة أيضا بالكينونة والوجود؛ ألا وهي قضية وحده الوجود وتجلياتها ومفهومها، وقد حدث خلاف كبير حولها بين الدارسين القدامى فكل كان له تعريفه الخاص لوحدة الوجود، فمثلا نجد أن عقيدة وحدة الوجود التي ركز عليها الصوفية ظهرت مع ظهور الصوفية، باعتبار أن التصوف في أساسه ما هو إلا وحدة للوجود، فالتصوف هو ما نقصد به تدريب الإنسان ذاته ونفسه لكي يندمج مع كل شيء واحد أي أن يصل إلى وحدة الوجود، فهذه الأخيرة هي ما يقصد بها الصوفي أنه "لا موجود إلا لله، و مع ذلك فأتعدد بتعدد التعيينات تعددا خفيا وقعا في نفس الأمر وهذا التعدد لا يوجب تعدد فو ذات الوجود"[5]. والقصد هنا من وحدة الوجود، أنه لا وجود في هذا الكون إلا لله وأن هذا الوجود الذي يمثل لله يلغي كل ثنائية أو تعدد آخر في هذا الوجود غير لله، وهي وحدة الوجود التي اتبعها "جماعة من الصوفية بعد انحطاط الدراسات الفلسفية في الإسلام، وقد تكونت في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد، وانتشرت بعد ذلك في بلاد الأندلس"[6].

---

[1] عبد القادر فيدوح: معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، م.س، ص123.

[2] المرجع نفسه، ص 123-124.

[3] المرجع نفسه، ص 124.

[4] المرجع نفسه، ص 124.

[5] قمر الكيلاني: في التصوف الإسلامي مفهومه وتطوره وأعماله، دار مجلة شعر. المكتبة العصرية للطباعة والنشر، دط، 1962، ص 105-106.

[6] إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، دار المعارف، مصر، ط2، 1119 هـ، ص 57.

نجد من المتصوفة الذين كان لهم إنتاج وموقف في فكرة وحدة الوجود، الفيلسوف محي الدين ابن عربي حيث كان لهذا الأخير الفضل في جعل وحدة الوجود مذهبا وتطوير فكرتها ونشرها، و"يكاد الإجماع كذلك ينعقد على أن هذا المذهب انتقل من المغرب إلى المشرق على يد ابن عربي وعبد الحق بن سبعين، حيث انتهى بهما الأمر إلى المشرق وقاما بنشر تعاليم هذا اللون من التصوف"[1]. فابن عربي خاض في قضية وحدة الوجود حيث يقول هذا الأخير "اعلم أن المعلومات ثلاثة لا رابع لها، وهي الوجود المطلق الذي يتقيد وهو وجود الله ووجود الله تعالى الواجب لنفسه، والمعلوم الآخر العدم المطلق الذي هو عدم لنفسه وهو الذي لا يتقيد أصلا وهو المحال، والمعلوم الثالث هو البرزخ الذي بين الوجود المطلق والعدم المطلق وهو الممكن، وسبب نسبه الثبوت إليه مع نسبة العدم، هو مقابلة الأمرين بذاته"[2]. فابن عربي هنا يرى بأن الوجود حقيقة واحدة لا يتعدد وليس له ثنائية على الرغم من كل التعدد الموجودة في هذا الكون، فوحدة الوجود حسب قول ابن عربي تقوم على الحق والخلق، ولكن هو يعتبرها شيء واحد أو شيء لمسمى واحد، وهذه هي حقيقة وحدة الوجود عند ابن عربي من منظوره الصوفي.

نجد الدكتور أحمد عبد العزيز القصير هو الآخر في كتابه «عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية»، تناول قضية وحدة الوجود، حيث أعطى تعريف لوحدة الوجود فحواه أنها "عقيدة كبري من عقائد الصوفية –تعني –بأخر عبارة: أن الله تعالى والعالم شيء واحد"[3]. فالصوفيين يربطون وحدة الوجود عندهم بالضرورة إنكار "ثنائية الوجود، إن الوجود ينقسم إلى: وجود واجب، ووجود ممكن، ولكن الصوفية ينكرون ثنائية الوجود هذه، ويعتقدون أن الوجود واحد"[4]. هذا من جهة أما من جهة أخرى، تقوم نظرية وحدة الوجود عند الصوفية أيضا على أن الله هو موجود فقط وباقي الأشياء لا وجود لها ومنعدمة حيث "يدعي الصوفية أن الله تعالى هو الذي له الوجود وحدة، أما الكائنات والمخلوقات فهي معدومة أولا وأبدا، ويرون أن عقول المحجوبين (غير الصوفية) وتتخيل أن المخلوقات موجودة"[5]. هذا من جهة ومن جهة أخرى أيضا ذهب والى القول بأن كل مخلوق على الأرض هو الله "ولا يعني الصوفية بهذه الأقوال إنكار الأشياء المحسوسة، وحدد الكائنات المشهودة، كالبحار، الجبال، والأشجار ونحو ذلك، وإنما مقصودهم إنكار كونها خلقا، لاعتقادهم أن الكائنات -كلها - هي الله تعالى"[6]. وفي توجه آخر لصوفين في ذات القضية إلى أن التعدد هو نسبي غير حقيقي، وهو لا يختلف عن الواحد حيث "يرى الصوفية أن هذا التعدد لا يتنافى مع الوحدة، لأنه عندهم تعدد نسبي اعتباري لا حقيقي، وهم بذلك يقومون بالجمع بين الكثيرة والوحدة"[7].

---

[1] عبد القادر أحمد عطاء: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1987، ص 345.

[2] ابن عربي: فصول الحكمة، تحقيق وجمع وتأليف محمود محمد الغراب، مطبعة زيدين ثابث، دط، 2000، ص 45.

[3] أحمد عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد الناشرون، ط1، 1464هـ-2003م، ص28.

[4] المرجع نفسه، ص 28.

[5] المرجع نفسه، ص 29.

[6] المرجع نفسه، ص 30.

[7] المرجع نفسه، ص 30.

يؤكد المتصوفة في تناولهم لفكرة وحدة الوجود على أن الله هو في صورته إسقاط على باقي المخلوقات أي "الله تعالى يظهر ويتجلى في صورة أن يتحد، أو يحل في مخلوق بل هم يرون، أن الله ما يتجلى إلا على نفسه"[1]. ويعود اعتقاد أهل الوحدة من الصوفية بالفكرة أن الله يتجلى في صورة المخلوقات إلا أن "الله كان وجودا مطلقا، ليس له اسم ولا صفة، ثم أراد أن يرى، نفسه في مرآة هذا الوجود، وأن تظهر أسماؤه وصفاته، فظهر في صور الكائنات المعدومة العين الثابتة في علمه تعالى"[2]. أيضا نجد متصوفة وحدة الجود يرون بأن الله هو كل شيء، وبناء على عقيدة الوحدة فإن القوم يعتقدون أن الله هو كل ما يرى، بل وما يرى أيضا.

يقول ابن سبعين: "الله فقط، هو الكل بالمطابقة"[3]. ووحدة الوجود الصوفية أيضا ترتبط باعتقادهم أن المتصوفة ذو الوحدة ادعوا أن الله هو المجودات و المعدومات و الممتنعات... باعتقاد أن الموجودات - شريفها ووضيعها هي ذات الله، فراحوا يصرحون بأن الله هو الموجودات والمعدومات والممتنعات!.

يقول ابن عربي: "العلي نفسه: هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الأمور الوجودية والنسب والعدمية، بحيث لا يمكن أن يفوته تعت منها، وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا. وليس ذلك إلا لمس «الله» خاصة"[4]. بالعودة إلى ما تطرقنا إليه أعلاه يمكننا أن ندقق القول حول وحدة الوجود ونخلص إلى أن هذه القضية صعبة التصور والتبيان والتدقيق و"مذهب هذا شأنه لابد أن يتضمن بيان معناه ظهور اضطرابه وبطلانه. ولهذا لما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حقيقة وحدة الوجود قال :(اعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه بتصور تصورا حقيقيا؟"[5]. وتعود تسمية مذهب وحدة الوجود هكذا لـ "ادعاء بعض الكتاب أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو أول من أطلق اسم وحدة الوجود على هذه العقيدة أي أن هذه التسمية ليست من الصوفية، بل من مخالفيها... وإن كان لا يعرف بتحديد متى ظهر هذا الإسلام إلا أن عددا من أئمة التصوف - قبل عصر ابن تيمية قد استخدموا هذا الاسم منهم ابن عربي وابن سبعين والقونوي"[6].

تعد فلسفة وحدة الوجود ذات مجال واسع للتنظير والحديث فيها يضل مفتوح ولا يمكن حده بأي من الطرق ، فكل من الدارسين له وجهة نظره الخاص به في هذه القضية، وقد جاء في موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي لدكتور رفيق العجم تعريف حيث يقول أن المقصود من وحدة الوجود بالإجماع أن الأشياء موجودة في الخارج كما هو مذهب النظار غير أنه قالوا هي موجودة بوجود واحد هو الحق سبحانه لا أنها موجودة بوجود زائد على الوجود الحق سبحانه، وليس هذا مذهب الكمال أصحاب الكشف التام وما صدرت هذه المقالات إلا من

[1] أحمد عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، م.س، ص 31.
[2] المرجع نفسه، ص 31.
[3] المرجع نفسه، ص 33.
[4] المرجع نفسه، ص 36.
[5] المرجع نفسه، ص36.
[6] المرجع نفسه، ص 37.

جماعة مزجت الحكمة بكلام أهل الله وأخذت أقوالهم على حسب ما استحسنته أفكارهم"[1]. ففي هذا التعريف نلحظ أن هناك ربط لوحدة الوجود بالله سبحانه وتعالى، وكذلك في حديث مغاير عن وحدة الوجود نجد هذا الأخير يتم دمجه بالعالمين ذلك أن "الأشياء لا وجود لها في غير العالم القديم وأن وجودها الحادث إنما هو بالنسبة إلى شعورها بما هي عليه في علم باريها على التتالي إلى غير نهاية دنيا وآخرة"[2]. فوحدة الوجود من خلال هذا القول هي ربط للوجود ووحدته بالعالمين العالم القديم والحديث، وأنها في كل رأي ترتبط بالله وأنه لا موجود إلا الله سبحانه وحده، وأن كل ما نراه في هذا الكون من موجودات ما هو إلا إسقاط لحقيقة واحدة؛ وهي الله فهذه الحقيقة تعددت وجداتها إلا أنها متصلة بحقيقة واحدة وهي الله.

[1] رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصور الإسلامي، مكتبه لبنان-ناشرون، لبنان، ط1، 1999، ص 1034.

[2] المرجع نفسه، ص 1034.

2-الوجود والعدم:

عرفت إشكالية الوجود والعدم احتواء وانشغال كبير من طرف الفلاسفة منذ القدم ولا يزال هذا الإشكال مطروحا إلى يومنا هذا، ذلك أن فكرة الوجود والعدم هي من الأفكار التي ترجع جذور تكوينها إلى الفلاسفة القدامى، حيث كانت تشغل فكر العديد من الدارسين والعلماء، ولم تكن حكرا على الفلاسفة فقط بل اتسعت لتنال نصيبا من الفكر الديني أيضا، فنجد أن علماءهم أيضا أدلوا بدلوهم وجهودهم في قضية الوجود والعدم، ولكن على الرغم من كل محاولات الوصول إلى نقطة واضحة في هذه الفكرة إلا أنها بقيت إلى يومنا هذا محل إبهام وليس غموض، فكان ذلك من الايجابيات التي جعلت لدارسين والعلماء والمفكرين حرية التوسع في مجال البحث في هذه القضية، وهذا ما خلق تنوع في وجهات النظر لكل منهم و طرح و تفسير خاص به في قضية الوجود والعدم، وكانت زبدة هذا التنوع خلق مجال واسع لطرح نظريات ما ورائية المتضاربة، وإذا ما خضنا في إشكالية الوجود والعدم وجب أن نقف عند إيضاح بسيط حول كلمة «الوجود» وكلمة «العدم»، فما هو الوجود وماذا نقصد بالعدم؟ وما هي العلاقة التي تجمعهما؟

الغوص في فكرة الوجود من السمات التي اعتمدها الإنسان دون أن يخاف منها فهو منذ القدم يعمل على فهم أصل وجوده، وذلك من خلال تفكيره في وجوده وذاته، وهذا يأخذنا إلى أهم عالم من علماء الدراسات الفلسفية الوجودية جان بول سارتر الذي كان له اتساع كبير في دراسة قضية الوجود والعدم وذلك في كتابه الوجود والعدم، حيث بحث في الوجود لكن دراسة سارتر لهذا الوجود هيمنة عليه قضية العدم، وذلك راجع إلى أن سارتر جعل فكرة الوجود لا تتم إلا بوجوب المرور على فكرة العدم، وذلك لأن إشكالية الوجود والعدم هي عبارة عن متلازمة غير قابلة للفصل فكل منها يحقق وجود الآخر ويستدعيه.

الملاحظ لمفهوم العدم يجد أنه في معناه ما يقصد به ما يخالف الوجود أي ضد الوجود وبتعبير أدق، نفي شيء ما من هذا الوجود، لكن عند الوجوديين مثل جان بول سارتر فالعدم يقوم على ارتباطه بالوجود حيث "بين سارتر أخيرا في كتاب الوجود و العدم (**l'etre et le mèamt-58**) إن مفهوم العدم صفة مصطنعة لأنه لا معنى له من جهة ما هو نفي الشيء... ومعنى ذلك أنه لا وجود للعدم بذاته إنما الوجود الكائن الذي يتصور عدم الأشياء"[1]. وبعدها نجد سارتر يذهب إلى جعل كل من الوجود والعدم متلازمان وأن الأخير، يكون عندما يكون

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب ألبناني، لبنان، ج2، دط، 1982، ص 65.

الوجود وذلك بتسليمه لخاصية الانعدام أو حضور العدم من أجل الوجود أي أن يقول لنا أن "الوجود الذي به يصل العدم إلى العالم ينبغي أن يعدم العدم في وجوده وحتى على هذا النحو فأنه يخاطر بتقرير العدم بوضعه عاليا في قلب المحادثة نفسها، إن لم يعدم العدم في وجوده بمناسبة وجوده"[1]. وهنا سارتر يقول لنا أن العدم في الوجود وهذا العالم يمثل الوجود بذاته وبذلك فلعدم في الوجود هو الوجود.

كان لسارتر نظرة أخرى، في ذات الموضوع حيث ذهب إلى القول بأن هناك ما هو مبهم وغيبي لدى الإنسان أو ما أطلق عليه بالمستقبل، فاعتبر أن هذا المستقبل هو عبارة عن إسقاط لفظي للكلمة العدم أو مفهوم العدم ذلك "أن ما اخطط له يكون وجودي المقبل، هو دائما معدم وهو مجرد إمكانية بسيطة لان المستقبل الذي هو أنا يبقى بعيدا عن متناولي. وتجدر الملاحظة هنا أننا في مختلف الحالات، أمام شكل زمني حيث انتظر نفي في المستقبل. «وأعطي نفسي موعدا من الجهة الأخرى لهذه الساعة، لهذا النهار أو لهذا الشهر..."[2]. فسارتر هنا يبين لنا أن العدم هو نفسه المستقبل الذي لا نعرفه.

نجد أن الوجوديين اختلفوا في تعريفاتهم للمصطلح فسارتر عرف الوجود على أنه "الوجود الفردي العيني هنا الآن"[3]. وسارتر من الفلاسفة اللذين قسموا الوجود إلى نوعين الوجود في ذاته وهو ما قصد به الأشياء التي تحيط بالإنسان أي الموجودة في العالم الخارجي والثاني ما يخص الإنسان وما سماه بالوجود لذاته، "فإن سارتر يستنتج أن الوجود من أجل- ذاته لابد أن يكون لا وجود أي لابد أن يتخلله العدم **le mèamt**، فلا يوجد العدم قبل الوجود أو خارجه وإنما في وسطه، والوجود من أجل ذاته أي وجود الإنسان ينشأ لأنه الوجود يعدم ذاته، ويبرهن سارتر على أن الوجود من أجل - ذاته لاشيء من خلال الإشارة إلى أن هناك وقائع سلبية، وحدث أن العدم لا يمكن أن يأتي من الوجود في ذات".[4] وهذا القول يعيدنا إلى المتلازمة التي يقر بها سارتر حول الوجود والعدم ويؤكد على أنهما عنصران لا يفترقان.

حسب مفهوم سارتر، وبالإضافة لخاصية التلازم التي ربطها سارتر بكل من الوجود والعدم نجده يضيف إلى ذلك خاصية الحتمية باعتبار أن كل منهما يستدعي الآخر في حضوره، وفي نقطة أخرى له حول هذه الإشكالية يذهب إلى أن، العدم محتوي في الوجود وأن هذا الأخير هو المصدر الذي من خلاله يتم إفراز العدم، وتعد هذه من النقاط التي تمحورت فيها إشكالية الوجود والعدم عند الفيلسوف الوجودي سارتر.

---

[1] جان بول سارتر: الكينونة والعدم-بحث في الانطولوجيا الفينومينولوجيا، تر: نقولا متيني، مر: عبد العزيز العيادي، ص 78.

[2] المرجع نفسه، ص 86.

[3] جون ماكوري: الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح، علم المعرفة، الكويت، دط، 1982، ص 76.

[4] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسنى، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1984، ص 277.

كان لهيدغر هو أيضا رؤيا أخرى وتوضيح مخالف للعدم والوجود، حيث ربط هذان الأخيران بـ"الآنية*"[1] والتي تمثل ذات الإنسان فهي تعتمد على نفسها فقط وبذلك يبرز "الواقع الإنساني «الآنية» من ناحية بوصفه ظهور للوجود في اللاوجود لأنه يجعل العدم «عدم الوجود» عدم الوجود الغفل موجودا باعتباره وجودا أو عالما. ومن ناحية أخرى فإن العالم يوج معلقا **ensuspons** في العدم"[2]. وبرجوع إلى هذا القول يمكننا أن نعتبر أن هيدغر كان مخالف لفلسفة سارتر حول الوجود والعدم، فهو يعتبر الآنية هي المتحكم في العالم وأن هذا الأخير لا يكون إلا بها، في حين أن سارتر جعل الوجود مشمول بالعدم بينما هيدغر جعل الآنية هي التي تظهر الوجود في اللاوجود.

نقول كخلاصة عما سبق أن قضية الوجود والعدم، تمتاز بكونها قالب شيق وغير منتهي من حيث التوسع والبحث والدراسة وكذا وجهات النظر المختلفة التي تطرح حولها، ولكن المتفق عليه أن العلاقة بين كل منهما هي علاقة تلاحق وإن إدراك العدم لا يتم إلا بالوجود معه وليس خارجه، فلعدم بذلك ملتصق بالوجود بل ملاحق له، فالوجود لا حاجة له للعدم فهو يوجد نفسه بنفسه وهذه هي النقطة الأساسية التي تقوم عليها فكرة الوجود والعدم، والوجود هو أساس تكون العدم وكأنك تقول أن الوجود يمثل الأم والعدم هو الجنين الذي يتغذى ويكبر وينتج من رحم ذلك الوجود وهذا ما يميزهما بخاصية التلازم الدائم.

[1] أمل مبروك: فلسفة الموت دراسة تحليله، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، دط، 2011، ص 116.

* الآنية: عند هيدغر هي الإمكانية العينية الكاملة لوجودي أنا ولا يمكن التعبير عنها تعبيرا صحيحا إلا بإضافتها إلى الضمير الشخصي أنا أكون أنت تكون.

[2] ريجيس جوليفية: المذاهب الوجودية من كيركجورد إلى جان بول سارتر، تر: فؤاد كمال، دار الأدب، لبنان، دط، 1988، ص 131.

3-إشكاليات الذات والوجود في الفلسفة الغربية:

3-1- الوجود عند كيركجور:

تطرق الفيلسوف كيركجور إلى مسألة الذات والوجود في مؤلفاته، بل أنها أخذت حيزا كبيرا جدا حيث "أن كيركجور كان يسعى إلى الكشف عن دينامية الذات الفردية في حركتها نحو الوجود الأصيل، كما كان يعرف أن للذات طابعا قطوريا فهي ليست ساكنة ثابتة بل هي تنمو وتتحرك نحو وجودها الأصيل. غير أن كيركجور كان يدرك، في الوقت ذاته، أن تطور الذات قد لا يستمر إلى النهاية، فهو يمكن أن يتوقف قبل أن يصل إلى الذات الحقة، ومن هنا انصب اهتمامه على تشخيص صور الوجود التي اعتقد أنها فشلت في إقامة توازن سليم داخل ذات الفرد، أعني ما يسميه باسم الوجود الزائف"[1]. فالذات تنمو وتتحرك نحو الوجود الأصيل لها، ولكنها قد تفشل في ذلك، فليس كل إنسان يصل إلى ذاته الحقيقية ويعرفها، فيجد نفسه ضمن الوجود الزائف.

يحدد كيركجور هذه الذات فعندما يتحدث "عن الذات البشرية لا يقصد بها الإنسان بصفة عامة أو بطريقه مجردة، بل الإنسان الفرد، الموجود العيني، أو الذات البشرية التي يحاول إدراكها أو معرفتها من خلال أوصاف متعددة ذاتية من دون الوصول إلى نظرة شاملة تحيط بها، ومن ثم، تكون الذات نتيجة أو نهاية وليست بداية نبدأ منها. وهي نهاية لأنها مركب لا يوجد وجودا مباشرا منذ ولادة الإنسان، وإنما يصنعه بنفسه"[2]. إذن فالذات البشرية لا توجد وجودا مباشرا وإنما يصنعها الإنسان بنفسه ولذلك يقول كيركجور: "الإنسان روح، لكن ما الروح؟ الروح هو الذات، لكن ما الذات؟ الذات هي علاقة تربط نفسها بذاتها. أو ملكية هذه العلاقة بنفسها لكن الذات ليست هي العلاقة، وإنما تعتمد هذه العلاقة على ربط نفسها بذاتها. الإنسان مركب من المتناهي واللامتناهي، من الزماني والأزلي، من الحرية والضرورة، باختصار هو مركب، والمركب علاقة بين عاملين، وإذا نظرنا إلى الإنسان من هذه الناحية فلم يصبح ذاتا بعد. في هذه العلاقة بين العاملين، تكون هذه العلاقة هي الحد الثالث، بوصفها وحدة سالبة والعاملان يرتبطان بالعلاقة، وفي العلاقة، وبواسطة العلاقة، وكذلك في تحديد النفس، والعلاقة القائمة بين النفس والبدن هي العلاقة، على العكس إذا كانت العلاقة تربط نفسها بذاتها الخاصة عندئذ تكون هذه العلاقة حدا ثالثا إيجابيا، تلك هي الذات"[3]. فالذات عند كيركجور مركب من العلاقات حيث تكون هذه العلاقات هي حدا ثالثا، وهذه العلاقات هي التي تجعل للإنسان ذاتا عندما تكون علاقات إيجابية.

[1] إمام عبد الفتاح إمام: كيركجور رائد الوجودية ج 2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، دط، 1986، ص157.

[2] شابحة بوعراب: الذات الكيركجوردية في مواجهة الذات الهيغلية، مجلة تبين الالكترونية، العدد 6/24، 2018.

[3] المرجع نفسه.

تتألف الذات عند كيركيكورد من الناحية الوجودية من خمس صيغ:

- الذات مركب من المتناهي واللامتناهي: أي تحقيق مركب عيني من هذين العاملين من دون أن يطغى أحدهما على الآخر، وهذا المركب يتحقق في لحظة الانفعال الطاغي لدى الفرد.
- الذات المركب من النفس الجسد: إذ يمثل الجسد العامل المتناهي، بينما تمثل النفس العامل اللامتناهي، وهذا المركب لا يمكن تصوره إذا لم يتحد كلا العنصرين في حد ثالث ألا وهو الروح.
- الذات مركب من الواقع والمثال: إن الذات تتضمن جانبين، جانبا واقعيا وآخر مثاليا، يجمع بينهما مركب ألا وهو الوعي الذي يدرك وجود الذات، لكنه ليس لحظة في تطور الروح، بل هو نشاط إيجابي بين الواقع والمثال.
- الذات مركب من الضرورة والإمكان: إذ يؤدي غياب أحدهما إلى المرض الذي يسميه كيركيكورد اليأس. فالضرورة تتمثل بتلك الأحرف الصماء التي لا يمكن النطق بها دون الأحرف المتحركة للفكر والإمكان، يوصف الفكر أثقل المقولات جميعا عندك كيركيكورد؛ إذ عن طريق ارتباطه بالحرية يؤدي إلى تحقيق أعظم شيء في الوجود "فالذات هي الحرية، وهي الحركة الجدلية بين الإمكان والضرورة.
- الذات مركب من الزماني والأزلي: في هذا المركب بين الزمان والأزل تحقق الذات الأزلية، وهذه اللحظة حاسمة وقاطعة بوصفها مليئة بالأزلي، لهذا تستحق اسما خاصا بها ألا وهو امتلاء الزمان"[1]. فحسب كيركيكورد فالذات تتكون من الجسد وهو العامل المتناهي والنفس التي تمثل العامل اللامتناهي، وتتضمن الواقع والمثال الذي يجمع بينهما الوعي الذي يدرك الوجود، والذات تعني الحرية أيضا التي تكون بين الضرورة والإمكان.

يمكننا صياغة الذات والوجود عند كيركيكورد بصفة عامة أن "الذاتية في فلسفة كيركيكورد هي المنهج وهي الغاية معا. لهذا يرى أنه ينبغي للمرء أن يفهم ذاته وأن يفهمها من حيث أنه يوجد، فأن يوجد معناه أن يكون فردا، لكن أن يوجد معناه أيضا أن يكون في عملية صيرورة وتغير. لهذا تعد فلسفته جهادا في سبيل واقعية الفرد العيني؛ ف "الفرد" هو المقولة الأساسية عندك كيركيكورد؛ إذ رأى في هذه المقولة الأهمية التي يمكن أن تعزى إليه بوصفه مفكرا ذاتيا"[2].

مما سبق من فلسفة هيدغر وسارتر وكيركغور فإن الذات لا يمكن فصلها عن الوجود لأنها جزء منه (موجودة)، والذات مرتبطة بالآخر ومعرفة الذات هي معرفة للآخر، وهذه الذات في حركة ديناميكية وصيرورة مستمرة، والإنسان هو من يبحث عن ذاته، وهذه الذات إنما هي عبارة عن مجموعة من المركبات، فالذات لا يمكن فصلها عن الوجود.

[1] شابحة بوعراب: الذات الكيركيكوردية في مواجهة الذات الهيغلية، م.س.

[2] المرجع نفسه.

3-2- الوجود عند هيدغر:

أخذ الفلاسفة على عاتقهم مهمة إعطاء مفهوم للوجود، ومن بين هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف هيدجر إذ يرى أن "مهمة الفيلسوف في نظره هي إيضاح معنى الوجود، حيث يجب على كل إنسان أن يسأله، أو يطرحه على نفسه ليصبح إنسانا، لأن من يبحث في الوجود لابد أن يتساءل أيضا: ومن أنا؟ أنا الباحث في الوجود، نعم إنني لست أنا الوجود، إلا أنني مع ذلك موجود وأشارك في الوجود، وعلى صلة به"[1]. معنى هذا أن الإنسان يعرفه إنسانيته عن طريق سؤاله عن الوجود، ولا بد أن يسأل نفسه أيضا من يكون، وإجابة ذلك أن يكون باحثا في الوجود، وأن يعرف علاقته به باعتباره موجودا. يكمل هيدغر تفسير ذلك على النحو التالي: "إذا الوجود ليس موضوعا مطروحا أمامي وكأنه شيء غريب عني أو منظر امامي، أو موضوع أستطيع أن أحلله وأفحصه بين يدي كما يفعل عالم النبات بالشجرة التي يدرسها. وإنما الوجود شيء يحيط بي ويؤلف كياني، فأنا ظاهرة من ظواهر الوجود، أنا وجود محدد في الزمان والمكان"[2]. فعلاقة الإنسان بالوجود هي أن الإنسان جزء من الوجود ولا يمكن أن يكون خارجا عنه.

حسب هيدغر فإن معرفة الإنسان لنفسه تعني البحث في الوجود "ومن يحب في الوجود لا يستطيع أن ينسى أنه هو أيضا وجود وأنه مدرج في الوجود: "وأي بحث في الوجود يفترض بالضرورة أنه هو نفسه موضوع للبحث" وهو يشمل السائل نفسه الذي يسأل عن معنى الوجود، ومن المستحيل النظر إليه من الخارج، أو استنباطه من شيء أسبق لأنه لا شيء أسبق عليه"[3]. فلا يستطيع الإنسان النظر إلى الوجود من خارج الوجود، فإذا كان الوجود مثلا قرص دائري فإن الإنسان يمثل نقطة داخل هذا القرص، وبذلك فإن هذه النقطة الموجودة داخل القرص لا يمكنها رؤية القرص من خارجه. وبما أن الإنسان جزء من الوجود فإن بحث الإنسان عن الوجود هو بحث عن نفسه أيضا.

بحث الإنسان عن وجوده مرتبط بوجود الآخرين أيضا، و"يعبر هايدجر عن وجود الآخرين بوجود الهم بمعنى وجودي مرتبط بوجود الآخرين، والآخرين في كثير من الأحيان يقفون حاجزا أمام تحقيق الممكنات. فيقع "الدارزين" بذلك في (**le on**) والذي يعرف على المستوى النحوي بأنه ضمير غير معروف. وهو بذلك يعني عنده "الملل"، "الكآبة" أو "الابتذال"[4]. فمعرفة الإنسان لذاته تحدد عن طريق وجود الآخرين، من خلالهم تتم مهمة معرفة الأنا، لأن الإدراك يقتضي وجود الآخر.

1 إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، ص 70.
2 المرجع نفسه، ص 70.
3 المرجع نفسه، ص 70.
4 المرجع نفسه، ص 75.

يمكن القول أن "الدارزين هو"كائن" يتميز بطريقة كينونة، تجعله يسأل عن معنى الكينونة، أما "الوجود" فهو نفسه "طريقة كينونة" هي التي تجعل الدارزين يسأل عن معنى كينونته، فالدارزين هو كائن من شأنه أن "يكون" على طريقة الوجود؛ وبعبارة واحدة فإن "الدرزيين يوجد". ولذلك فالدارزين، مثله مثل الوجود، هو إشارة صورية إلى طريقة كينونة خاصة بكائن مخصوص، فهو تعين كينونة "بلا مضمون"[1]. فالدارزين والوجود يتشاركان في كونهما إشارة صورية لكينونة الكائن.

يمكن تلخيص فلسفة هيدغر عن الوجود بأن "الوجود الحقيقي عند "مارتن هيدغر" هو الذي يتجلى من خلاله الكشف، معنى ذلك كلما امتلكنا الوجود، أصبحنا أكثر خفة، وهذا يشبه النور الذي من خلاله نكشف ملا يمكن أن يختفي، أنها الحقيقة. هذه الحقيقة هي جوهر الوجود"[2].

3-3- الوجود عند سارتر:

عالج الفيلسوف سارتر هو الآخر قضية الإنسان والوجود، لكنه ربط وجود الإنسان بالقلق، فمن خلال كتابه الوجودية مذهب إنساني، وهو من أتباع هذا المذهب يقول أن "الوجود ليعلن صراحة أن الانسان يحيا في قلق ويكابد القلق. وهو يعني من ذلك أن الإنسان عندما يلزم نفسه تجاه شيء ما، ويدرك في نفس الوقت أن اختياره سيكون اختيارا لما سيكونه، وأنه لا يختار في لنفسه وحدها. بل هو مشروع لنفسه يختار للإنسانية كلها في نفس الوقت-ففي لحظة كهذه لا يمكن للإنسان أن يهرب من الإحساس بالشمولية الكاملة العميقة"[3]. يعني ذلك أن ما يختاره الإنسان لنفسه هو في الحقيقة اختيار للإنسانية كلها لأنه يوجد ضمنها.

وجود الإنسان حسب سارتر له علاقة بالتزام الإنسان "فالإنسان يلزم في حياته، وهو في التزامه يرسم صورة لما سيكون عليه وجوده. وهو كل ما يمكن أن عليه هذا الوجود يرسمه الإنسان داخل هذه الصورة، لكنه لا يصنع شيئا كان من الممكن أن يكونه خارج الصورة"[4]. هذا الالتزام في حياة الإنسان يجعله يختار الصورة التي يريد لوجوده، وهذا يقود إلى الحديث عن الذاتية في هذا المذهب-المذهب الوجودي-حيث أن "نقطة البداية في الفلسفة الوجودية هي الذاتية، وفي هذه النقطة لا توجد حقيقة سوى حقيقة الكوجيتو: "أنا أفكر، فأنا موجود"، وهي الحقيقة المطلقة للشعور وهو يعني ذاته[5]". هذه الذاتية التي ابتدأت بها الوجودية إنما تعود لأسباب فلسفية وليست لها علاقة بالطبقة البرجوازية كما بين سارتر ذلك في هذا الكتاب.

---

[1] إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، م.س، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص90.

[3] جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم حفاجي، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1964، ص18.

[4] المرجع نفسه، ص 39.

[5] المرجع نفسه، ص 43.

ليست الذاتية هنا هي الفردية "فالذاتية التي نقول بها ليست ذاتية فردية، لأن الإنسان كما قلنا يكشف بالكوجيتو عن ذاته وعن ذات الآخرين أيضا. وعندنا الكوجيتو بعكس كوجيتو "ديكارت" أو "كانت"، يجعلنا ندرك ذاتنا أمام الآخر، وأن وجود الآخر محقق أمام وجودنا، فهو كوجدنا"[1]. إن وجود الذات لا يختلف عن وجود الآخر ذلك أن الكشف عنها يتم عن طريق الكوجيتو، "والإنسان الذي يكتشف ذاته بالكوجيتو يكتشف أيضا ذوات الآخرين، ويكتشف أن ذوات الآخرين ضرورية لوجود ذاته، فهو ليس شيئا إن لم يعترف به الآخرون"[2]. إذا فوجود الذات يعتمد على وجود الآخرين والاعتراف بها.

الوجود عند سارتر له معنيين، وقد ربط الوجود بالقلق، فمن "خلال كتابه "الوجود والعدم" يرى "سارتر" أن "الوجود سينكشف بطريقة مباشرة بالملل والغثيان..." ويضيف قائلا: "إن الواقع الإنساني متألم في وجوده وهو يبرز إلى الوجود مؤرقا دائما بكيان الموجود دون استطاعته أن يكون كذلك لأنه في الحقيقة لا يستطيع أن يصل إلى الوجود في ذاته "**Etre En Soi**" إلا إذا فقد نفسه كموجود لذاته "**Etre Pour Soi**" وعلى هذا الأساس يمكن فهم الوجود عنده بمعنيين:

- وجود حقيقي أو (العالم) هو: "الوجود في ذاته".
- وجوده لذاته، وهو وجود كوعي أو كشعور أو كوجدان بما يتميز به الإنسان وحده"[3]. ربط سارتر وجود الإنسان بوجود الآخرين، وهذا الوجود يفهم بمعنى الوجود في ذاته، وهو الوجود الحقيقي، ويفهم أيضا بوجوده لذاته، وهذا الوجود يكون بالوعي والشعور.

ننتقل إلى عنصر هام كان لابد لنا من الإحاطة به والولوج في محتواه ألا وهو بنيه الذات والتي كانت محل معالجة من طرف الفلسفة باعتبارها إشكالية لكونها عصية على التعريف حيث أن "إشكالية "الذات" هي إحدى جوانب السؤال المتعلق بجوهر الإنسان. لكنها، من حيث المبدأ تعالج الكثير من المسائل ونقصد بذلك خاصية النوع الإنساني واختلافه عن الحيوان، وكذلك التجانس الأنطولوجي للفرد (أي أنه سيبقى كما هو في الظروف المتبدلة إلى آخر حياته). وكذلك ظاهرة وعي الذات وعلاقته بالوعي والفعالية أو في نهاية الأمر يحدد النشاط الفردي (ماذا يستطيع الفرد أن يقوم به وبماذا يرتبط ذلك إن ذلك يحفز ويتعزز بقانونية الاختيار) ورغم أن كل هذه الأسئلة مرتبطة فيما بينها، إلا أن تناسبها وأهميتها ليسا متشابهين في مختلف النظريات الفلسفية"[4]. فالذات إذن هي التي تحدد النوع الإنساني والنشاط الفردي، وتبين إدراك الإنسان للوجود ووعي الفرد بذاته.

يشعر الإنسان بنفسه في جميع حالاته ولكنه قد لا يستطيع رؤية ذاته، فالأنا تختلف في مفهومها بين الفلاسفة، فإذا "اعتبر ديكارت فكرة "الأنا" موروثة فإن أنصار المذهب الحسي الانجليز يرون ذلك إشكالية. إن

[1] جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، م.س، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

[3] إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، ص 36.

[4] إيغور كون: البحث عن الذات-دراسة في الشخصية ووعي الذات، تر: غسان نصر، دار معد للنشر والتوزيع، سوريا، د ط، 1992، ص14.

جون لوك –الذي عالج مفهوم الشخصية– لم يبدأ–من قبيل المصادفة–من سؤال لماذا "لا يستطيع المخلوق المفكر" "العاقل أن يرى نفسه، أنه ذاته، ذلك المخلوق المفكر في مختلف الأزمنة والأمكنة. ويتأمل لوك إن الإنسان يمكن أن يفقد جزءا من جسد. وأن يستبدل مهنته بأخرى وأن يكون ثملا أو في حالة صحو، ومهما يكن فأنه يشعر نفسه وبإصرار شخصية واحدة"[1]. إن السؤال لماذا لا يستطيع الإنسان رؤية نفسه سؤال مهم عن الذات، وهذا السؤال يقودنا إلى مسألة أخرى تتعلق بجانب من جوانب الذات وهو وعي الذات، حيث "أن "الاهتمام بالذات" يفترض ليس وجود الوعي، بل وعي الذات. ومن هنا تبرز إشكالية أصل "فكرة الأنا" ليس من منظور تجريدي_معرفي بل سيكولوجي. وبما أن كل الأفكار تنتقل من الإحساس أو الارتكاس فإن وعي الإنسان لوجوده يكون بالحدس وذلك أنه لا يوجد شيء أكثر صحة من الوجود الفردي. غير أن ذلك الذي يتشابه مع "الإحساس الداخلي" _ من أجل أن يصبح واقعه_ يجب أن يكون موضوع الوعي والارتكاس"[2]. ومنه فالإنسان يعي ذاته عن طريق الإحساس والارتكاس، ولا يوجد شيء أكثر صحة من الحدس الذي يمثل الوجود الفردي.

إن الحديث عن الذات يقودنا حتما إلى الحديث عن الجسد وعلاقته بالذات، ففي "معرض بحثهم عن مخرج من هذا التناقض [التناقض في مفهوم الذات] ينزع الفلاسفة إلى كلية الجسد البشري. وإذا كانت التحديدية الجسدية _حسب رأي لوك لا تمت بصلة إلى التماثلية الشخصية فإن ليبينتس يؤكد إن الأنا البشرية مرتبطة ارتباطا وثيقا "بالجسد المنظم بشكل صحيح والأخوذ في لحظة معينة، والمحافظة على التنظيم الحياتي بفضل تبدل الأقسام الأساسية المختلفة المرتبطة به"[3]. فمسألة التماثلية الشخصية لا يمكن حلها للاختلافات الكثيرة حولها بين الفلاسفة ويمكن اعتبارها مشكلة فلسفية.

تطرق الفيلسوف هيغل إلى مسألة أكثر عمقا من البحث عن الذات وهي وعي الذات، حيث "يبرز هيغل ثلاث مراحل أساسية لتطور وعي الذات وهذه المراحل تتوافق مع درجات نضج الفرد وطبيعته والتأثير المشترك مع العالم.

المرحلة الأولى: وهي وعي الذات الفردي _هو وعي وجود الذات_ وتماثلها واختلافها عن الأهداف الأخرى_ إن مثل هذا الوعي للذات على أنها وحدة مستقلة ضروري ولكنه محدود جدا،.. ويسمي هيغل هذه المرحلة من تطور وعي الذات "لوعي الذات الشهواني"[4]. وعي الذات الفردي هي أول مرحلة كون الفرد يعي ذاته فيها؛ أي يشعر بوجود ذاته.

[1] إيغور كون: البحث عن الذات، م.س، ص 15.
[2] المرجع نفسه، ص 17.
[3] المرجع نفسه، ص 19.
[4] المرجع نفسه، ص 23.

أما المرحلة الثانية التي ذكرها هيغل فهي "وعي الذات" "التي تفترض ظهور العلاقات ما بين الأفراد؛ أي يعي الإنسان نفسه موجودا من أجل إنسان آخر. يعترف الفرد الذي يحتك مع الآخر إلى صفات خاصة به موجودة فيه والتي بفضلها تكتسب الأنا الجدة وتلفت الانتباه. وهكذا فإن وعي الفردية يتزايد من خلال وعي خاصيته... ومن المنظور السيكولوجي يعتبر هذا وعي الفروقات"[1]. ففي هذه المرحلة يتطور وعي الذات من كونه خاص بالفرد وحده إلى إدراك صفات الأفراد الآخرين، وفيه يعي الفروقات الموجودة بين ذاته وذوات الآخرين.

المرحلة الأخيرة في تقسيم هيغل هي "المرحلة الثالثة: "وعي الذات العام" وهذه المرحلة تعني أن الذوات تشترك في التأثير وذلك بفضل وعي المبادئ العامة" الأسرة، الوطن، الدولة، وكذلك كل الفضائل_ الحب، الصداقة، الشجاعة، النزاهة، المجد" وهذه الذوات لا تعي الفروقات فحسب، مشاعيتها وحتى تماثلها. تؤلف هذه المشاعية "أساس الأخلاق" وتحصل "الأنا" الفردية آنية وجزءا من الروح الموضوعية"[2]. إذا كانت المرحلة الثانية هي حول إدراك وعي ذات الآخرين، فهذه المرحلة تعني أن الذات تتشارك مع الآخرين وتتفاعل معهم فيما يسمى المبادئ العامة للمجتمع التي يتشارك فيها جميع الأفراد.

قام علماء النفس أيضا بدراسة الذات، واستخدموا عدة مفاهيم مثل: الذات، والأنا والهو... حيث أن "مفاهيم "الذات" و"الأنا" و"الأنا العليا" و"الهو" و"الشخصية" من جهة. والتماثل من جهة أخرى تنسب إلى مستويات مختلفة من التجريد، إن "الأنا" و"الأنا العليا" و"الهو" تعتبر عناصر ما يسميه فرويد "الجهاز النفسي". إن مفهومي "الشخصية" و"التماثل" لا يعتبران _خاصة بالنسبة للتحليل النفسي، وأن الذات تعني مضمون النفس. إن فرويد نادرا ما كان يستعمل كلمتي "شخصية" و"ذات"، وفيما يتعلق بـ"الأنا" و"الهو" لم يشر إلى كل العمليات الفردية، بل إلى الارتباط المتبادل بين الشعور واللاشعور (الوعي واللاوعي)"[3]. ولذلك فإن هذه المفاهيم كانت قاصرة على تحديد جميع جوانب النفس، وركزت على الارتباط المتبادل بين الوعي واللاوعي.

الارتباط المتبادل بين الوعي واللاوعي قد "عرض على مؤسس علم النفس التحليلي كارل يونغ إلى الخروج عن إطار هذه الارتباط كان مضطرا لتوسيع الجهاز المفاهيمي بشكل ملحوظ وإلى تحديد بعض مفاهيم علم النفس التحليلي القديمة من جديد. فقد أبرز يونغ –إضافة إلى "الأنا" **Ego** كموضوع للوعي – الذات كموضوع "للنفس الشاملة" التي تشتمل على الوعي واللاوعي"[4]. لقد أحدث يونغ العديد من المفاهيم الجديدة في علم النفس، ودرس عدة أوجه للذات.

[1] إيغور كون: البحث عن الذات، م.س، ص23.
[2] المرجع نفسه، ص24.
[3] المرجع نفسه، ص 30_31.
[4] المرجع نفسه، ص 31.

حاول علماء النفس عند حديثهم عن الذات عدم استخدام مفهوم الشخصية فقد "سعى كل من يونغ وفرويد إلى تجنب استخدام مصطلح "الشخصية" وبالمقابل فقد أدخلا عدة مقولات جديدة تتناول تعددية أوجه الذات وتعددية مستوياتها. أن الظل يمثل الجانب السلبي لها _أي كل ما هو كوني وحيواني وبدائية التي تنام في قاع الروح. أما "الوجه" أي القناع الذي يضعه الفرد للعرض بالنسبة للآخرين_ فهو موقف موضوعي خالص تختفي وراءه الفردية الحقيقية_ أما الروح فهي الجانب الداخلي للشخصية على النقيض من الجانب الخارجي. أما الفرد كمفهوم **personne** يتمثل في البداية الأنثوية **Anima** أما البداية الذكرية **Animus** مع الإشارة إلى أنه، أي الفرد person) في الحالة الأولى تعبر بشكل أقوى عن الشهوانية وفي الحالة الثانية عن العقل"[1]. هذه هي المفاهيم الجديدة التي أدخلاها إلى علم النفس.

المفاهيم السابقة هي الخطوة الأولى في طريق معرفة النفس، ولكن "أكثر الناس يخلطون "معرفة النفس" بمعرفة شخصيات انّيتهم الواعية **conscious ego**. كل من له واعية–انية أصلا يعد معرفته لنفسه أمرا مسلما به. لكن الأنية **Ego** لا تعرف سوى محتوياتها، فهي تجهل الخافية وما تنطوي عليها. والناس يقيسون معرفتهم لأنفسهم بما يعرفه عن نفسه الشخص المتوسط في محيطهم الاجتماعي، لا بالوقائع النفسية الحقيقية الخفية عنهم في معظمها، من هذه الناحية، تسلك النفس مسلك الجسد في بنيته الفيزيولوجية والتشريحية، التي لا يعرف عنها الرجل العادي إلا القليل"[2]. الواعية والخافية هما الوعي واللاوعي، فالإنسان يعتقد أنه يعرف نفسه ما دام يعرف الجزء الواعي من ذاته، ولكن معرفة الخافية "اللاوعي" أمر معقد، حيث أن الواعية تجهل ما يدور في الخافية، ومنه فمعرفة النفس هنا هي معرفة مظللة.

يعتقد الإنسان دائما أشياء غير صحيحة ويصدقها، وهذا يحدث "بسبب الاعتقاد الشائع بأن الإنسان ما هو إلا ما تعرفه واعيته عن نفسها، يعتبر نفسه غير مؤذ، وبذلك يضيف إلى الظلم غباء. هو لا ينكر أن الأشياء رهيبة قد حدثت، ومازالت تحدث، لكن "الآخرين" دائما هم الذين يفعلونها. وعندما تعود مثل هذه الأفعال إلى الماضي القريب أو البعيد، سرعان ما تغرق في بحر النسيان وتعود تلك الحالة الغمامية العقلية المزمنة التي نصفها بـ "الحالة السوية"[3]. **Normality** فالأشياء الرهيبة إذن لا ينسبها إلى نفسه رغم أنه لا ينكرها، ولكن يحمل الآخرين مسؤوليتها، وعندما تحدث في الماضي فأنها تنسى.

[1] إيغور كون: البحث عن الذات، م.س، ص 31.

[2] كارل غوستاف يونغ: التنقيب في أغوار النفس، تر: نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1996، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص91.

يتحتم على الفرد معرفة الوعي واللاوعي لمعرفة نفسه ذلك أن "العناصر النفسانية التي توجد في الكائن من حيث لا يدري، والتي يشكل مجموعها ما ندعوه اللاوعي، تتألف كما نعلم، ووفقا للنظرية الفرويدية، من الميول الطفلية فحسب. هذه الميول، نظرا لعدم توافقها مع العوامل الواعية للنفسية، تكون مكبوتة. والكبت عملية تنساب وتتأسس منذ الطفولة البدئية"[1]. فالكبت من أهم العناصر الموجودة في لاوعي الإنسان، ولكن "للاوعي مظاهر أخرى أيضا، أبعادا أخرى، وطرق وجود أخرى. تتسجل في فلكه ليس المحتويات المكبوتة فقط وإنما أيضا كل المواد النفسية التي لم تبلغ، رغم أنها موجودة، القيمة والشدة اللتين تسمحان لها بعبور عتبة الوعي"[2]. فجميع المواد النفسية التي لا تستطيع عبور عتبة الوعي فأنها تتسجل في اللاوعي.

المواد النفسانية الموجودة في اللاوعي لا تكون منظمة فبـ "الإضافة إلى المواد المكبوتة، يوجد في اللاوعي كل العناصر التي لم تعد محفوظة بتوتر نفسي كافي في اللاوعي، انزلقت من تلقاء نفسها من جديد تحت عتبته، وخاصة كل الإدركات الحسية تحت عتبة الوعي. بالإضافة إلى ذلك، نحن نعلم [...] إن اللاوعي يخبيء أيضا المواد النفسانية التي لم تكتسب بعد مستوى ومرتبة الوعي: أنها بذور المحتويات التي سيصبح بعضها لاحقا واعيا. وأخيرا، لدينا كل حافز لافتراض أن اللاوعي لا ينحصر بأي شكل في الجمود والراحة ومرادفات اللافعل، على العكس، يمكن التفكير في أنه منشغل دائما في خلط محتوياته وتجميعها وإعادة تجميعها"[3]. فاللاوعي في انشغال دائم حتى وإن كنا لا ندرك ذلك.

بالإضافة إلى انشغال اللاوعي وعدم إدراك الإنسان لذلك فإن هذه العملية تكون كالتالي: "يشير اللاوعي إلى العمليات العقلية التي يكون الأفراد غير مدركين لها، وقد فرويد بنية عمودية وهرمية للوعي الإنسان، وهي العقل الواعي، العقل الباطن، والعقل اللاواعي_كل منها يترتب تحت الآخر، إذا كان يعتقد أن الأحداث النفسية العامة تحدث –تحت السطح– في العقل اللاوعي، مثل الرسائل الخفية من اللاوعي؛ وفسر هذه الأحداث على أنها ذات أهمية رمزية وحقيقية"[4]. ليس هذا فحسب ما يحدث داخل اللاوعي، والمواد الموجودة فيه متنوعة أيضا.

يكون الوعي أبسط من اللاوعي، ويمكن تعريفه بأنه "تجربة أولية، مثل تحريك الأشياء ورؤية الأشكال والإحساس بالأصوات والأحاسيس والعواطف والمشاعر في جسم الإنسان كما ترد من مصدرها وتسمى هذه التجارب التي تعد مستقلة عن أي تأثير على السلوك بالوعي؛ لكن ومن ناحية أخرى يمكن أن يعد الوعي ظاهرة يمكن من خلالها الوصول إلى المعلومات في ذهن الأفراد من أجل الإبلاغ الشفهي عناها، والمنطق والسلوك"[5].

---

[1] ك.غ.يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 1997، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

[4] كتّاب سطور: مفهوم_الوعي_واللاوعي/https://sotor.com، 2020/06/21، سا 20:15.

[5] المرجع نفسه.

إن للوعي وظيفة تقود الفرد إلى ما يسمى بالتفرد حيث "يوجد درب يوفر إمكانية الوصول إلى ما يتجاوز المقاييس النفسانية والمستويات العقلية والإنسانية [...]: أنه درب التفرد. ودرب التفرد يعني: الميل لأن يصبح الكائن فرديا بحق، وحيث أننا نعني بالفردية شكل وحدانيتنا الأكثر حميمية، وحدانيتنا النهائية المحسومة، فالمقصود هو تحقيق الذات بأكثر ما فيها من شخصي وعصي على كل مقارنة. ويمكننا إذا أن نترجم كلمة "التفرد" بتحقيق الفرد لذاته، تحقيق الذات"[1]. فدرب التفرد يعني تحقيق الفرد لذاته.

ولكن يمكن فهم هذا التحقيق بمعنى خاطىء ذلك أن "تحقيق الذات يقع على طرف نقيض من فقدان الفرد لشخصيته. وإن النظر إلى التفرد وتحقيق الذات على أنه الأنانية هو سوء فهم شائع تماما؛ لأن العقول عموما تفرق قليلا جدا بين الفردانية والتفرد. تتشدد الفردانية عمدا وتبرز الخصوصية المزعومة للفرد، في مواجهة الإعتبارات والواجبات التي في مصلحة الجماعة. وعلى العكس فالتفرد هو مرادف لإنجاز مهمات الكائن الجماعية بشكل أفضل وأكثر اكتمالا"[2]. فالتفرد إذا يصب في صالح الفرد والجماعة.

التفرد يبرز حقيقة الفرد "وهذا يعني أن التفرد لا يمكن أن يكون إلا صيرورة تنجز المعطيات والمحددات الفردية، وبعبارة أخرى، ما يجعل من فرد ما الكائن الذي يجب أن يكون بنفسه، مرة وإلى الأبد. من هذا الواقع، لن يكون أنانيا أو متمركزا حول أناه بالمعنى الإعتيادي للعبارة، ولكنه يحقق ببساطة طبعه ووجوده"[3]. فالتفرد يجعل الفرد يعيش ذاته فقط.

لا تكتمل الذات البشرية من دون الوعي واللاوعي ذلك أن "الوعي واللاوعي لا يتعارضان بالضرورة وإنما يكمل أحدهما الآخر ويشكلان معا مجموعة وهي الذات [...] إن الذات كيان يفوق الأنا تنظيما. تحتضن الذات النفس الواعية والنفس الجماعية وتشكل بذلك شخصية أوسع، وتلك الشخصية هي نحن"[4]. والذات كما عرفها يونغ باختصار هي: "الذات: هي مجموع الشخصية المركبة الذي يشتمل على الوعي واللاوعي"[5]. لأن الذات الحقيقية لا يمكن أن توجد دون الوعي واللاوعي.

[1] كارل يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، م.س، ص 89.
[2] المرجع نفسه، ص 90.
[3] المرجع نفسه، ص 90.
[4] المرجع نفسه، ص 94.
[5] المرجع نفسه، ص 31.

تعريف الذات يقود إلى تعريف آخر وهو الأنا: "ولكن ما هي الأنا؟ يعرفها يونغ كالتالي: أعني بالأنا مركب تمثيل يشكل بالنسبة لي مركز الحقل الواعي ويبدو لي أنه يمتلك درجة عليا من الاستمرارية والتماهي مع نفسه. ولكن بما أن الأنا هي مركز الحقل الواعي فهي لا تختلط مع كلية النفس. أنها مركب بين مركبات أخرى عديدة. هناك مجال إذا للتمييز بين الأنا والذات بما أن الأنا هي موضوع وعيي في حين أن الذات هي موضوع كلية النفس بما فيه اللاوعي"[1]. فالذات إذن ليست الأنا لأن الأنا ترتبط بالوعي، أما الذات فترتبط بكلية النفس.

لإيضاح الاختلاف بين الأنا والذات أكثر، يمكن القول بأنه "ليست الذات سوى مفهوم نفساني، بنية عليها أن تعبر عن كينونة تبقى مجهولة لنا، ماهية لم نمنح إمكانية التقاطها لأنها تتجاوز، كما نستشعر من خلال تعريفها، إمكانيات فهمنا. نستطيع أيضا أن نقول عن الذات أنها "الله فينا" إذ يبدو أن حياتنا النفسية تنبثق منها منذ بداياتها [...] إن المسافة بين الأنا والذات هي ذاتها بين الشمس والأرض. لا يمكننا الخلط بينهما"[2]. فالحياة النفسية تنبثق من الذات، وهي التي تعبر عن كينونة الفرد.

تمثل الذات –حسب يونغ– موضوع كلية النفس، ولكن ماهي النفس؟ وحسب "تصور يونغ فالنفس هي نظام ذاتي التنظيم **self_regulating system** مثل الجسد، تبحث عن التوازن بين كميات مختلفة تحويها وفي نفس الوقت تعمل على النمو، هذه العملية (نمو النفس) أطلق عليها يونغ عملية التفرد **Individuation**"[3]. وعملية التفرد التي يعنيها يونغ هي وظيفة الوعي.

يوجد للنفس ماهية أيضا، حيث "تختص ماهية النفس بأنها تكتفي بذاتها، أنها لا تعرف الاعتبارات الإنسانية أبدا ولا تراعي الأفراد الآخرين مطلق. عندما يسقط شيء في اللاوعي يبتلعه ويحتفظ به دون أن يهتم بمعرفة ما إذا كان الوعي قد شعر بنقصه أم لا؛ فيتقلص الوعي بإفقار محتواه إلى حالة من الخور؛ في حين ينتعش اللاوعي ويزدهر"[4]. اللاوعي لا يختار محتواه، ويحتفظ بأي شيء يأتي إليه، دون الأخذ في الاعتبار الجانب الواعي من النفس.

[1] كارل يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، م.س، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 190.

[3] محمد العمصي: العالم الداخلي للإنسان_النفس psyche، مدونة روح، mudawanat_ruh.blogspot.com، 08/04/2020، سا 17:00.

[4] كارل يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، م.ن، ص 156.

الوعي واللاوعي هما ما تعنيه ماهية النفس، وهما المكونين الرئيسيين للنفس البشرية، ويوجد فيها ثلاث مستويات:[1]"

1. الواعية **consciousness**.
2. الخافية الشخصية **personalunconscious**.
3. الخافية الجامعة أو العامة **collective unconscious**.

مكونات النفس عند كارل يونغ:

- الإيجو**the ego**: "والإيجو أو الأنا حسب يونغ هي مركز مجال الوعي، هي الجزء حيث يستقر الإنتباه الواعي، الإحساس بالهوية والوجود. هذا الجزء أشبه بمركز القيادة، حيث ينظم الأفكار والمشاعر والأحاسيس والنوايا، كما ينظم طريقة إدخال المعلومات إلى الذاكرة. هذا الجزء الذي يصل العالم الداخلي والخارجي للإنسان ببعضهما البعض، ويقرر الأشياء التي تشعر بالتواصل معها في العالم الخارجي.

أصل الإيجو نابع من تركيب الذات self_archetype، حيث يتشكل مع مرور الوقت خلال محاولات العقل إعطاء المعنى والقيمة للتجارب المختلفة"[2].

الإيجو هو الأنا، وهي الجزء الواعي من الذات، ومنه فالإيجو "هو جزء بسيط من الذات **the self**، ولكن رغم ذلك فالوعي إنتقائي والإيجو هي التي تقوم بعملية الإختيار للمعلومات الأكثر قيمة من البيئة المحيطة وإتخاذالإتجاهات التي على أساسها تتم هذه الإختيارات، بينما المعلومات الأخرى التي لا يتم إختيارها لتبقى في الوعي تغرق إلى اللاوعي. إلا أنها تعاود الظهور مجددا في الوعي من خلال الأحلام أو الرؤى أي تعاود الظهور إلى العقل الواعي"[3]. فالإيجو إذا هو الذي يربط ما بين الوعي واللاوعي لأنه يختار المعلومات التي تذهب إلى الوعي، أما باقي المعلومات التي لا يختارها تذهب إلى اللاوعي ولكنها تعاود الظهور مجددا.

ومن مكونات النفس أيضا نجد:[4]"

- اللاوعي الشخصي **The personalunconscious**
- المركبات النفسية **Complexes**
- اللاوعي الجمعي **The collective unconscious**

[1] كارل يونغ: البنية النفسية عند الإنسان، تر: نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية_سوريا، د ط، 1994، ص49.

[2] محمد العمصي: العالم الداخلي للإنسان، م.س.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

- الذات **The self**: وفقا ليونغ، هي مجموعة الكل النفسي، مع كل إمكاناتها المختلفة. هذا هو الجزء من النفس الذي يتطلع إلى الأمام، والذي يحتوي على محرك نحو تحقيق الكمال. وهي القوة الدافعة لعملية التفرد حيث يسعى الفرد للوصول إلى أقصى إمكاناته.
- القناع **persona**: "لقد أطلقت تسمية القناع على ذلك الجزء من النفس الجماعية الذي غالبا ما يتطلب تحقيقه كثيرا من الجهود. إن لفظة القناع تعبر لحسن الحظ عما يجب أن تشير إليه، بما أن القناع أصلا هو القناع الذي يرتديه الممثل ويشير إلى الدور الذي سيظهر فيه [...] وكما تدل تسميته، ليس إلا قناعا يخفي جزءا من النفس الجماعية ويعطي في الوقت ذاته وهما بالفردية؛ قناعا يدفع الآخرين ويدفعنا نحن إلى الإعتقاد بأن الكائن المعني فردي، في حين أنه في العمق يلعب ببساطة دورا تعبر معطيات وضرورات النفس الجماعية عن نفسها من خلاله"[1]. في حين أن الإنسان يحمل في ذاته ما يعرف بالمشاعر.

ترافق المشاعر الإنسان منذ ولادته، وأحيانا هي التي تتحكم في قراراته، والمشاعر من الفعل شعر، وأحيانا أخرى تأتي مرادفة للعواطف والأحاسيس، ولكن المشاعر أعمق من أن ينحصر معناها على ما ورد في المعاجم اللغوية لأننا نطرح تساؤلات عن المشاعر مثل: كيف يكون الأمر عندما نشعر بشعور ما؟ وأين تقع هذه المشاعر؟ لذلك "تقول **Eve kosofskysedguich**: إن كتابها "لمس المشاعر" يشير إلى الاستبصار بأن هناك ارتباطا وثيقا بين الانفعالات والملمس، فإذا كان هناك شيء "مؤثر **touching**" فهو يحركنا لكي نشعر، وإذا شعرنا بشيء فإننا أيضا "نلمسه". ويتضمن الشعور أيضا جانبا متعلقا بالحركة، ويتجسد في فكرة أننا عندما نشعر شعورا عميقا بشيء فإن هذا يعني أن هذا الشعور يؤثر فينا و"يحركنا"[2]. إذن يوجد ارتباط وثيق بين الشعور والملمس، ويتضمن جزءا من الحركة لذلك فأنه يؤثر في الإنسان يحركه "فالشعور مرتبط "باللمس" والحركة وكذلك بالأجساد والأمزجة والحالات العقلية المتقلبة.

توجد علاقة وطيدة للمشاعر بالانفعالات "فالمشاعر هي الإدركات الحسية لشيء يحدث في الجسد، وهذا شيء وهو ما يطلق عليه عادة مصطلح انفعال_" مثل الخوف والغضب والاشمئزاز والمفاجأة والحزن والسعادة" ولكنه أيضا "التعاطف والإحراج والخزي والذنب والفخر والحسد والامتنان والسخط والازدراء"، فالانفعال يأتي أولا، والشعور هو عملية إدراكه حسيا وتسميته"[3]. فالمشاعر إذن هي انفعالات ولكن الفرق بينهما أن الانفعالات تحدث أولا ثم يأتي الشعور فيقوم بإدراكها حسيا ويعطيها أسماء.

[1] كارل يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، م.س، ص 62.
[2] ستيفن فروش: المشاعر، تر: عبد الله عسكر، المركز القومي للترجمة، مصر، ط 1، 2015، ص15.
[3] المرجع نفسه، ص 35.

ينكر الإنسان المشاعر التي يشعر بها في كثير من الأحيان، ولكن ما هو الإنكار؟ والإجابة هي أن الإنكار هو "الصعوبة التي يجدها الناس في الاعتراف بوجود حالة عقلية يتم فيها _بشكل ما_ إخفاء "ما يحدث فعلا" بشكل مقصود، وتشير الكثير من المناقشات المعاصرة في هذا الموضوع إلى إنكار المسئولية، فمثلا نرى ذلك فيما قدمه **Stan Cohen** (2001) (لتصنيف الأنواع المختلفة من الإنكار وهي "الحرفي" و"التفسيري" و"التبريري")، ويقدم لنا تفسيرا ثريا بالمعلومات عن الطرق المختلفة التي يتراجع بها الناس عن الضرر الذي يقومون به أو يتظاهرون إما أنه لم يحدث أصلا وأنه لم يكن سيئا كما يبدو، أو أنه كان مبررا من الظروف"[1]. فالإنكار هو محاولة من الناس للتراجع عن الأضرار التي يسببونها، فيكون الإنكار حرفيا أي مباشرا، أو يكون تفسيري بجعله يبدو كأن الضرر الذي أحدثه لم يكن سيئا، وأخيرا الإنكار التبريري وذلك عن طريق إعطاء مبررات من الظروف.

يتخذ الإنسان من الإنكار دفاعا عن النفس وحماية لها، ويشرح فرويد ذلك بأنه "قد يكون معظم الجهد الذي يضعه الناس في هذا النوع من الرياضة العقلية جهدا واعيا ويكون موجها بلا شك لإقناع أشخاص آخرين ببراءتهم لكي يخلصوا أنفسهم من المواقف التي يخافون فيها من الخزي أو العقاب، ولكن هناك مستوى آخر يعمل فيه أيضا، مستوى يتم فيه تلفيق الإنكار وصياغته في علاقة الشخص بنفسه باعتباره حماية أو دفاعا ضد الشعور بالانفعالات بشكل زائد عن الحد"[2]. والإنكار أمام الآخرين ليس بذلك السوء بقدر الإنكار امام الذات، لأنه يجعل الفرد يعيش في الوهم، و"هذا يعني أننا أحيانا لا نستطيع العيش مع أنفسنا –وبينما يوجد عنصر معرفي في هذا– وهو عدم الإقرار أو الاعتراف لجوانب من أنفسنا أننا لا نستطيع التحمل–إلا أنه يتم تحريك الإنكار وجدانيا، ويتم دفعه بالمشاعر المقلقة التي توقظها هذه الجوانب"[3]. فالإنكار يعني عدم الاعتراف للنفس بأنها لا تستطيع التحمل.

يفتح الإنكار للإنسان بابا لكي يستطيع مواصلة حياته رغم أنه غير محمود، حيث أنه "ليس من الصعب للغاية أن نقدر أنه أحيانا ما يكون هذا النوع من الإنكار مهما، لأنه أحيانا يكون من المؤلم جدا أن يعترف الشخص اعترافا كاملا بما يشعر به وأن يحيا مع ذلك الشعور عندما تكون الأولوية القصوى هي أن يخرج الشخص مما هو فيه لكي يستطيع مواصلة يومه، وهناك بعض الأدلة على "الانشقاق" والذي يتصرف فيه الشخص وكأن لا شيء مهم يحدث حتى عندما يكون شاعرا _في جزء آخر من عقله_ أن العالم أنهار. فهذا الانشقاق قد يكون مهما من وقت لآخر ليس فقط برجماتيا ولكن قد يكون له أيضا آثار صحية إيجابية"[4]. من إيجابيات الإنكار على صحة الإنسان هو تجنب الألم، لأن الألم يعيق الإنسان عن عيش حياته، فيساعده الإنكار على مواصلة حياته.

[1] ستيفن فروش: المشاعر، م.س، ص 43.
[2] المرجع نفسه، ص 45.
[3] المرجع نفسه، ص 44.
[4] المرجع نفسه، ص 44.

يعيش الكثير من الناس في حالة إنكار لمشاعرهم، وإن كان الإنكار يحمل بعض الإيجابيات، فإن بعضهم الآخر يكون على العكس تماما، والإنسان في هذه الحالة يسمى "الإنسان الشعوري"، و"أول ميزه للإنسان الشعوري هي أنه لا يخاف مواجهة مشاعره. لا يشعر بالتهديد أو الاحتقار أو العار عندما تجتاحه، لا يظهر الحاجة لكبتها. يعبر عنها و"يديرها" كما يقول علماء التطور الشخصي"[1]. فمواجهة المشاعر والاعتراف بها تجعل الإنسان يعيش ذاته.

يحقق الإنسان جزء كبير من سعادته عندما يعرف ذاته، هذه المعرفة يمكن الوصول إليها عن طريق المشاعر، وبذلك يكون "الإنسان الشعوري المثالي يحرص على الالتزام بالذاتية. فهو يعتبر أن الإنسان يمثل ذاته فقط حين يحس ويعبر عن المشاعر التي تهز روحه. القدرة على الارتعاش هي أغلى سمة تطبع إنسانيتنا، يقول الأديب الألماني يوهان فون غوته: "سعيد من كان يعرف كيف يرتعش"، وهكذا فلحظة الشعور بالاهتزاز المميز للشخصية والتأكد على اختلافها. "الكينونة تعني الإحساس" يقول أرثر جانوف، الطبيب والمحلل النفساني، مبدع "الصرخة الأولية" وهي تقنيه لعلاج العصابات تقوم على الإفراغ العاطفي"[2]. والإفراغ العاطفي يزيح المكبوتات التي تكون عائقا أمام معرفة الإنسان لذاته، وهي طريقة ناجعة في العلاج النفسي.

انفتاح الإنسان على مشاعره بشكل كبير يجعله يقدس مشاعره، وهذه المشاعر تكون مرتبطة بالجسد، ولفهم العلاقة بينهما فإن "تقديس المشاعر يتميز أيضا بالمكانة التي يحظى بها الجسد. أصلا فإن الاهتمام المخصص للجسد هو الذي يفسر جزئيا الحماس الذي يرافق قيام الإنسان بإعادة اكتشاف المشاعر. إعادة تأهيل الجسم تؤدي في نفس الحركة إلى أعادة تأهيل المشاعر"[3]. فالمشاعر تقع في العقل والجسد، والاهتمام بالجسد اهتمام أيضا بالمشاعر، لذلك فإن تأهيل الجسم هو تأهيل للمشاعر.

يسمى الإنسان الذي يقدس مشاعره إنسان شعوري حيث أنه يمارس ما يسمى بـ "الوعي بالذات"، و"من منظور عبادة المشاعر، فإن ممارسة الوعي بالذات يأخذ معنى آخر. فعندما يقوم الإنسان الشعوري بالرجوع إلى نفسه، فأنه لا يسعى إلى تحليل مضمون تفكيره، ولكن إيجاد آثار انفعالاته وأحاسيسه ومشاعره. التجربة الفكرية التي يخوض فيها هي ذات طابع إحساسي وليس إدراكي، فهو لا يقول "أنا أعرف أنني أفكر" ولكن "أعرف أنني أحس"، بل وأكثر من ذلك "أنا أحس أنني أحس"[4]. المشاعر ترتبط بالفكر عن طريق الإحساس، فتكون المعرفة بالذات معرفة حسية.

---

[1] ميشال لكروا: عبادة المشاعر، تر: أمين كنون، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2017، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] المرجع نفسه، ص37.

[4] المرجع نفسه، ص 42.

يمكن الوصول إلى الوعي بالذات عن طريق التأمل، والتأمل يحفر عميقا في النفس ليصل إلى أكثر المناطق عمقا فيها، ويمكننا أن "نلخص هذه النقطة بالقول بأن التأمل يزيح المشاعر السطحية، "الفريتيس" ليحل محلها المشاعر التي تأتي من نواة الشخص. يتخلص من الطبقات السطحية للحياة الشعورية، ليصل إلى أماكن مطمورة في الطبقات العميقة للأنا. قليل من التأمل يبعدنا عن المشاعر، كثير من التأمل يرجعنا لها"[1]. وإن كان يبدو ظاهريا أن التأمل هو طريقة للتخلص من المشاعر وإلغائها، فأنه في الحقيقة هو طريقة لاختراق المشاعر السطحية وإبعادها. أنها الطريقة التي توصل الإنسان لمعرفة مشاعره الباطنية.

تحرير المشاعر يمر بمرحلتين، فإذا كانت المرحلة الأولى تتم عن طريق التأمل، فالمرحلة الثانية تتم عن طريق العمل على الذات لأنه "لا يكفي إزاحة الضغوطات الخارجية ورفع المحظورات الاجتماعية. لكي يكون الإنسان شعوريا بالكامل، يجب عليه أن يقوم كذلك بالعمل على ذاته، طقوس المشاعر تحرك لهذه الغاية ترسانة من الأدوات المستعارة من العلاج النفسي ومن تقنيات تطوير الشخصية وتقنيات الصحة الجيدة"[2]. وفي هذه الحالة نرجع إلى العلاقة بين الجسد والذات، فالعمل على الذات هو عمل على الجسد، وفي نفس الوقت العمل على الجسد هو مقدمة للعمل على الذات، ومن خلال القيام بهما يتم تحرير المشاعر.

طرق العمل على الجسد تتم عن طريق "تمارين التموضع الجسدي، التمارين البدنية الخفيفة، تمارين تمديد العضلات، الاسترخاء، نعيد اكتشاف الغلاف الجسدي. نتعلم هذا الفعل البسيط للغاية الذي هو "الإحساس بالجسد الذاتي"، وهكذا نستعيد القدرة على الإحساس بالمشاع"[3]. وليست هذه الطرق الوحيدة للعمل على الجسد، توجد طرق أخرى تأتي "بعد التمارين الجسدية، هناك تمارين التنفس. يعتبر أخصائيو الصحة الجيدة وتطوير الشخصية التنفس أداة مميزة لاستكشاف "الحس". أكثر نصيحة يوجهونها لزبائنهم هي "التنفس بوعي"... الوعي بعملية التنفس إذن، أساسا، [ما يسمى] بالكوجيطو الشعوري. قل لي كيف تتنفس، أقل لك كيف هي حالة حياتك العاطفية..."[4]. فالتنفس بوعي هو طريقة جيدة لاستكشاف الحس والشعور بالذات، ويساعد على الاسترخاء.

تقف المواد اللاشعورية حاجزا أمام المشاعر، لذلك "العمل على الجسد بدوره، لا يكفي. يجب أيضا التسلل إلى أعماق النفسانية لمواجهة المقاومات اللاشعورية التي تضع حاجزا أمام المشاعر. يجب التغلب على الخوف من المشاعر، التوقف عن صدها، والمغامرة بخوضها. نتناول إذن الإجراء الثالث لتحرير المشاعر، والذي يدخل في إطار العلاجات النفسية"[5]. هذه تعتبر المرحلة الثالثة.

[1] ميشال لكروا: عبادة المشاعر، م.س، ص 46.
[2] المرجع نفسه، ص 56.
[3] المرجع نفسه، ص 56.
[4] المرجع نفسه، ص 58.
[5] المرجع نفسه، ص 59.

ولذلك فالمراحل الثلاث لتحرير الذات يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. عن طريق تأمل ممارسه الوعي بالذات.
2. عن طريق العمل على الجسد.
3. عن طريق العلاجات النفسية.

يعتبر الكبت حالة مرضية تصيب الشخص بسبب عدم التعبير عن المشاعر، و"على الرغم من إنكارها، تبقى المشاعر حاضرة، أنها تتخمر. تحت الغطاء الواقي للدفاعات النفسية، تمارس ضغطا صامتا وشديدا، فتصبح شيئا فشيئا مرضية، ويصبح الشخص معذبا بالخوف من الإحساس بالمشاعر، فيخشى أن "تقوم باكتساحه وغمره، ويخاف من إطلاق العنان له"[1].

يمكن القول عن تحرير المشاعر أن هذه المشاعر: "الهدف ليس التحرر من المشاعر، وإنما تحريرها"[2]. فالتحرر من المشاعر يوحي بأن هذه المشاعر كالقيود التي يجب التحرر منها، ولكن تحرير المشاعر هو إطلاق المشاعر وعدم حبسها والتعبير عنها، وبذلك يحقق الإنسان التوازن النفسي.

لا يمكن أن يمر الحديث عن المشاعر دون الحديث عن العواطف، فالعواطف والمشاعر ليس لهما نفس المعنى كما يبدو، "فالعاطفة لم تكن أبدا بعيدة عن العذاب والتراجيديا. في اللغة الألمانية، كلمتا "عاطفة" و"معاناة" لهما نفس الجذر (عاطفة: **Leidenshoft**، معاناة: **leiden**)، لكن طبعنا الشهواني لا يؤهلنا أبدا أن نضحي بمتع الحياة المتعددة في سبيل عاطفة حصرية تمدنا في نهاية المطاف بقليل من الأفراح"[3]. وهي تأتي بالمعنى السلبي أيضا لغويا، ففي "اللغة الفرنسية كلمة العاطفة"**passion**" هي على علاقة بالفعل تألم"**pâtir**"، وبالسلبية "**passivité**" وغياب الحرية"[4].

يمكن تبين الاختلاف بين المشاعر والعواطف في أن "الإنسان العاطفي يحترق بعاطفته. على العكس من المشاعر التي تكمن حلاوتها في كونها مواقف عاطفية نحدثها بإرادتنا. فيمكننا بكامل الحرية خلق الظروف التي من خلالها نحصل على شعور معين. القيام بتجربة معينة أو سفر معين أو ممارسة رياضة معينة أو مشاهدة فيلم معين، يتولد عنه بصفة أكيدة نوع معين من الأحاسيس القوية؛ عالم المشاعر هوعالم التخطيط المسبق... أي أن العواطف تؤدي إلى الخضوع، بينما تولد المشاعر"**émotion**" الحركة "**motion**" والحركية والحرية. العواطف تَستهلك، المشاعر تُستهلك"[5]. العواطف تستهلك الإنسان، وتكون محملة بالألم، وتأثيرها على الإنسان تأثير

[1] ميشال لكروا: عبادة المشاعر، م.س، ص61.
[2] المرجع نفسه، ص 70.
[3] المرجع نفسه، ص 138.
[4] المرجع نفسه، ص 139.
[5] المرجع نفسه، ص 139.

سلبي على العكس من المشاعر التي يستهلكها الانسان، وتكون بإرادته وتوجد فيها حلاوة لا توجد في العواطف. فالعواطف تستهلك الإنسان إذن، أما المشاعر فالإنسان هو من يستهلكها.

يجب على الإنسان أن يحسن علاقته مع ذاته، ويهتم لمشاعره ويعبر عنها، ويمكن أن يصل الإنسان إلى أعماق ذاته عن طريق التأمل والتنفس بوعي فـ"ممارسو الاسترخاء والتنفس بوعي والتأمل يشهدون على ذلك، يقولون: تباطؤ نشاطاتنا الحيوية يحسن تلقائيا مع الذات ومع العالم، فتصبح أكثر اندماجا وأكثر عمقا. تمارين الاسترخاء والانسياب تحسن من درجة تقبل مجموعة من الاهتزازات التي دفعتنا الحياة الصاخبة إلى تهميشها يقول كارل فريدفون دوركهايم: "الأشياء تخاطبنا إذا منحناها وقتا للإنصات"[1]. تحسين علاقة الإنسان بذاته ومع العالم تحدث من خلال تقبل المشاعر والظروف المختلفة التي يمر بها، ومواجهتها أفضل حل لإبعاد المشاكل النفسية المترتبة عن الكبت وغيره. كما أنه يمكن للإنسان أن يلجأ لعدة طرق لتحرير مشاعره وتحسين صحته النفسية والجسدية.

[1] ميشال لكروا: عبادة المشاعر، م.س، ص 82.

الفصل الأول: كينونة الذات المزيفة في الرواية

المبحث الأول: صورة الأنا المزيفة في الرواية

1. الكينونة الفكرية للأنا
2. الكينونة الشعورية للأنا
3. علاقة الذات بالجسد

المبحث الثاني: علاقة الأنا بالآخر

1. صور الأنا عن الآخر
2. العلاقة الشعورية للأنا مع الآخر
3. العلاقة السلوكية للأنا مع الآخر

المبحث الثالث: مآل الكينونة المزيفة في الرواية

1. لحظة امتحان اليقظة الانتحار

الفصل الأول: كينونة الذات المزيفة في الرواية

المبحث الأول: صورة الأنا المزيفة في الرواية

يعيش خالد محفوظ - هو الشخصية الرئيسية في الرواية - حياته كما يفعل الكثير من البشر خاصة في وقتنا الحالي، إن نظرته للحياة نظرة سطحية، وتنعكس هذه النظرة السطحية على ذاته، أن تقديره لذاته يعتمد على الإنجازات التي سوف يحققها في الحياة، وكل فشل في حياته يعني النهاية.

هدف خالد محفوظ في الحياة هو النجاح والمكانة العالية التي حلم بالوصول إليهما لعيش في سعادة، ولكن في طريقه إلى النجاح انعطف منعطفا حاسما في حياته، وبدل تركزه على ما كان يصبو إليه فإنه قد قرر ارتداء أحد الأقنعة التي عادة ما يرتديها البشر وهو قناع الضحية. هذا القناع يتيح لضحية أن ينغمس في فكرة أنه الضحية وأن الحياة وما فيها هي الجلاد، يقدم جميع التبريرات الممكنة لنفسه ولفشله في تحقيق أهدافه ويعيش حالة الإنكار. أراد خالد محفوظ أن يتماهى مع القناع الذي اختار أن يعيش فيه فئن ذلك قد أدى به إلى حدوث تحولات كبرى في حياته: وصوله إلى ذروة اليأس من الحياة، ثم وأخيرا حدوث التحول الثاني والكبير لوصوله إلى نفسه.

1- الكينونة الفكرية للأنا:

تتشكل الأنا أو الإيجو من الأفكار التي يقوم الإنسان بتغذيتها بهم، والفكر ليس شيء بسيط كما يعتقد البعض من الناس، ولكن "الفكر هو أكثر من مجرد شيء تقوم به، أنه في الحقيقة أنت وكذلك نحن. يمثل الفكر كياننا بأكمله فيها عدا الجزء الخاص بالكيان المادي أو الوعاء الذي يحمل عقولنا في كل مكان [...] ولكنك تحاول أن تنظر إلى الفكر باعتباره قضية كونية وولدت بها؛ إنه شيء تقوم أنت به، بل هو ما يمثل كيانك! "[1]. إن أفكارنا الداخلية هي التي تعبر عن كينونتنا، ولكن الأفكار قد تأخذ منحى سيئ فتبعد الفرد عن ذاته الحقيقية.

يعتمد الإنسان على أفكاره في تحدد طريقة حياتنا، ومن خلال بطل الرواية -ترنيمة سلام- خالد محفوظ يمكن إبراز دون الفكر في حياة الأفراد، وكيف يؤثر عليهم.

ذهب خالد محفوظ إلى تقسيم حياته إلى شطرين: الشطر الأول الذي سيطر عليه فيه الإيجو "الأنا" ويمثل الذات المزيفة التي عاشت بها، والشطر الثاني وهو الوصول إلى ذاته الحقيقية، وهذا ما سوف يبرز دور الأفكار في حياة الإنسان.

[1] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، مكتبة بريد، المملكة العربية السعودية، ط4، 2011، ص 54

ابتدأت قصة خالد محفوظ من اليوم الذي أصدر فيه كتابه، ولكن أحداث النشر كانت عكس توقعه تماما، أنه يبدو واثقا بنجاحه ولكن أفكاره في الحقيقة عكس ذلك، يقول: "امتلأت نفسي بالحبور. ترى هل سيكون عدد الحضور كبيرا؟ صوت خافت غمغم بداخلي: نعم، سأنجح، بل أنا نجحت بالفعل! لكن صوت أكثر حدة تعالا وغطى على كل الأصوات: من أنت ليهتم أحد بحضور حفل توقيعك الأول؟ أنت شخص مجهول! "[1]. لم يمتلك خالد محفوظ الثقة بنجاحه، وهذا ما يمثله الصوت الأكثر حدة الذي يتحدث عنه.

تلعب الأفكار التي يفكر فيها الإنسان خاصية تحديد ما سوف يحدث له لذلك "يتولى العديد من كبار المفكرين عن طريق شتى الأساليب إلى أن الفكر أو العقل هو المحدد النهائي لطريقة التي سوف تسير عليها حياتنا. وقد قال الفيلسوف الهولندي "سبينوزا" " إن الأشياء التي أخاف منها أو التي تخاف مني لا يمكن أن يكون لها هذا التأثير إلا إذا تأثر بها العقل أولا. ويضيف"رالف والدو ايمريسون" "إننا نصبح نفس الحالة التي نفكر بها على مدار اليوم"[2]. وهذا ما تبرزه أفكار خالد محفوظ، عندما دخله الشك في نجاحه، فإنه قد فشل في الحقيقة أيضا وسوف يتضح لاحقا أنه كان يعتقد بأنه لا يتحقق النجاح!.

عبر خالد عن أفكاره السوداوية اتجاه الحياة والوجود بصراحة بقوله: "هناك من يؤمنون بالصدفة، إن كل شيء يقع في الكون بشكل عشوائي بلا ترتيب. لكني في تلك الأيام كنت اختلف مع هؤلاء، كنت أعتقد أن كل شيء يقع في الكون مرتب بشكل دقيق بحيث يؤدي إلى تعاسة الإنسان، كل شيء الغرض النهائي منه السخرية من فشل الإنسان وعجزه وعدم قدرته على انجاز شيء"[3].

ذهب خالد إلى الإعتقاد أن هذه الأفكار قد أثرت على حياته بشكل كبير. فشل مجموعته القصصية التي كان هو السبب الأول والمباشر فيها، لقد جسد نظرته السوداوية للحياة في تلك القصص، وقد كافأته الحياة بما كان يعتقده عنها؛ فشل كتابه الأول!.

تجلت أفكار خالد محفوظ السوداوية في فشل كتابه، لم يعتقد أنه السبب فيها، وألقى اللوم مرة أخرى على الآخرين، لقد عاش حالة من الإنكار لكي يبرر فشله، وبالأخذ في الاعتبار أنه "قد يكون معظم الجهد الذي يضعه الناس في هذا النوع من الرياضة العقلية جهدا واعيا ويكون موجها بلا شك بإقناع أشخاص آخرين ببراءتهم لكي يخلصوا أنفسهم من المواقف التي يخافون فيها من الخزي أو عقاب"[4].

---

[1] أحمد عبد المجيد: ترنيمة سلام، ن للنشر والتوزيع، ط2، 2014، ص 39.

[2] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 58.

[3] المرجع نفسه، ص 58.

[4] ستيفن فروش: المشاعر، م.س، ص 43-44.

حاول خالد محفوظ أن يخلص نفسه من خزي الفشل الذي حل به. أنه يعطي مبررات مثل: "نعم، كاتب كل بضاعته هي الموهبة فقط. ليست الوسامة ولا العلاقات المتعددة ولا الكتابات المبتذلة!"[1].

نلاحظ أيضا أنه إلقاءه اللوم على الآخرين لم يقف عنده هذا الحد، بل تعداه إلى إلقاء اللوم على الحياة أيضا، يقول: "ماذا كان العالم سيخسر لو أن الأمور سارت معي كما يجب؟!"[2].

تأخذ حياة خالد محفوظ منحى درامي أكثر من اللازم، ذلك أن "متخيلنا يتشكل عن طريق الأفكار التى تكون لدينا غالبا، حيث إننا نصبح نفس الشكل الذي نفكر فيه، وجميع الأشخاص لديهم القدرة على كتابة قصصهم الخاصة... إن أفكارى هى التى كانت تشكل عالمى دائما"[3].

أصبحت فكرت خالد محفوظ عن العمى واقعا له، ولقد حدث فعلا ما كان يتمناه خالد محفوظ في حياته، فعند كل مشكلة تواجهه في الحياة سواء مع زوجته ليلى أو فشله الخاص، فإنه في كل مرة كان يتمنى أن يزول بصره، وهذه المواقف التي تمنى فيها ذلك:

– أفصح في المرة الأولى قائلا: "تناولت نسخة من نسخ مجموعتي القصصية التي طبعتها على حسابي. لمحت ليلى ترمقني بضيق. ليتني أفقد بصري أو تنشق الأرض فتبلعني ولا أرى نظرة اللوم في عينيها، لا أرى القاعة خالية من مؤشرات النجاح[4]".

– عبر في المرة الثانية قائلا: "حينها أشعر بخناجر صغيرة تنغرز في صدري، وأتمنى لو أفقد بصري أو تنشق الأرض فتبتلعني ولا أرى نظرة الاتهام في عينيها.. أنا أشعرها بالعار! أشعرها أنها تورطت بزواجها مني!"[5].

– وتحدث في المرة الثالثة قائلا: "تمنيت لو يكون كل هذا مجرد كابوس سأستيقظ منه فجأة، أن يظهر جني مصباح علاء الدين فينقلني إلى زمان ومكان آخرين، فلا أجد نفسي في هذا الموقف، أو أفقد بصري فجأة فلا اضطر لرؤية ما أنا فيه"[6].

تمنى زوال بصره في المشكلات الثلاث التي مر بها، ولكنه في الحقيقة لم يكتف بذلك، فقد تمناه من جديد:

– في المرة الرابعة قال: "شعرت برغبة قوية في الهرب ومغادرة هذا المشهد، أن تنشق الأرض وتبتلعني، أن أمتلك الشجاعة لأرفع أصابعي إلى عيني فأقتلعها ولا أضطر لرؤية وجه عم ليلى المتجهم وهو يوجه لي الإهانات"[7].

---

[1] الرواية، م.س، ص 65.
[2] المرجع نفسه، ص 65.
[3] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 59.
[4] الرواية، م.ن، ص 47.
[5] المرجع نفسه، ص 73.
[6] المرجع نفسه، ص 79.
[7] المرجع نفسه، ص 86.

– والمرة الأخيرة التي تمنى فيها ذلك قال: "مسحت دموعي وغادرت البناية وأنا أغلي من الغضب. ليتني أموت الآن، ليت سيارة تصدمني فأموت، لتندم ليلى وأهلها على ما فعلوه بي، ليتني أفقد بصري فلا أضطر لرؤية الوجوه القبيحة المتجعدة التي تحاول إهانتي بتعبيراتها الصامتة"[1].

راودته هذه الأفكار حول فقدانه لبصرة عدة مرات فجعلته أعمى حقا، لقد أدت به إلى الطريق الذي سوف يحقق له ما تمناه كثيرا. لقد افتعل شجارا مع سائق المكيروباص الذي ضربه على رأسه، وذلك ما أدى به لفقدان بصره! رغم أن الإصابة العضوية لم تكن السبب في ذلك، وإنما فقدانه لبصره يرجع لأسباب نفسية.

وقوع هذا الحادث لخالد محفوظ جعله يفقد السيطرة تماما على أناه، لقد ابتعد أكثر عن ذاته الحقيقية وارتدى قناع الضحية: الجميع ضده، والحياة أيضا. إن تصرفات خالد بعد الحادث أصبحت لا تطاق، ويمكن إجمال ما أصبح عليه فيما يلي:

- سوء معاملته للآخرين والغضب على أتفه الأسباب.
- إلقاء اللوم على ليلى فيما يحدث له، ومحاولته جعلها تشعر بالذنب الشديد.
- استغلال زوجته، والاستمتاع بخدمتها له.
- إلقاء اللوم على الآخرين في كل صغيرة وكبيرة تحدث له.
- الهروب إلى العالم الافتراضي ومحاولته استعطاف الآخرين له خاصة الفتيات.
- افتعال الشجارات مع زوجته ليلى.
- التخلي عن جميع مسؤولياته في الحياة.
- تحميل مسؤولية أخطائه للآخرين.
- كتابته لقصة عن نفسه ليشعر زوجته بالذنب لما حدث له.
- الحديث عن زوجته بسوء أمام الآخرين.

أدت به أفكاره السوداوية إلى الانتقام من زوجته ليلى على خيانتها له مع صديقة سمير خليل، وهذا ما جعله يعيش أكثر لحظة ضعف في حياته أمام أناه، لقد سيطرت عليه الأنا كليا، لقد حاول الانتحار!.

رسم خالد محفوظ فكرة رئيسة عن نفسه أساسها أنه هو ضحية للحياة، ذلك أن الجميع يحاول تحطيمه، والكل يتمنى فشله، الجميع مسؤول عما يصيبه إلا هو، وهي نقطة مهمة أثارتها زوجته ليلى عندما سألته: "ما الشيء الذي أنت مسؤول عنه في حياتك مادام الآخرون هم من يفعلون بك كل شيء ؟!"[2].

[1] الرواية، م.س، ص 87

[2] المرجع نفسه، ص 136

أشارت إلى نقطة أخرى مهمة عن اعتباره الضحية للجميع بقولها: "أتعتقد حقا أنك بطل من أبطال الإغريق الذين تضطهدهم الآلهة طوال الوقت؟ استيقظ يا خالد مما أنت فيه، الحياة لا تضطهدك لثأر بينك وبينها!!"[1].

خلق خالد محفوظ لنفسه صورة لم تكن صورة حقيقية، فهو مثل الكثير من البشر الذين لا يعيشون ذواتهم الحقيقية، ولذلك نجد أن "بعضهم يخلق فورا صورة عقلية قوية أو شكلا عقليا يرون من خلاله أنفسهم كضحايا [بعدما يختبرون خسارة عظيمة]، سواء ضحايا الظروف أو ضحايا أشخاص آخرين أو قدر غير عادل أو ضحايا الرب، وتجدهم يتماهون بقوة مع هذا الشكل العقلي ومع العواطف التي تنشأ عنه، سواء أكانت الغضب أو الاستياء أو الإشفاق على النفس، وما إلى ذلك، ويحل هذا التماهي محل كل التماهيات الأخرى التي تداعت بفعل الخسارة"[2]. كان هذا ما حدث معه بالفعل!

يمكن شرح ما حدث لخالد محفوظ ذلك من خلال ارتدائه قناع الضحية وسخطه على الحياة بأن أناه قد تماهت كثيرا في هذا الدور "فشكل الاهتمام الذي يسعى إليه هو التعاطف أو الشفقة أو اهتمام الآخرين بمشكلات(ي)، "أنا وقصتي". إن رؤية الذات كضحية هو عنصر في الكثير من أنماط "الأنا" مثل التذمر، الإحساس بالأمانة، الغضب، الخ. بالطبع ما أن أتماهى مع القصة التي حددت فيها ذاتي كضحية، فلا أريد أن تنتهي، وهكذا مثلما يعلم أي معالج نفسي، فإن "الأنا" لا تريد نهاية لـ"مشكلاتها" لأنها جزء من هويتها"[3]. لعبه دور الضحية كان أكثر جزء يبرز من خلاله محاولة "أنا" خالد محفوظ الاستمرار في تمنيه لفقدان بصره عدة مرات، ذلك لأنها رغبت في عيش حياة الضحية لمدة أطول وهو ما حدث بالفعل.

2- الكينونة الشعورية للأنا:

اكتمال الإنسانية لا يمكن أن يكون دون الإحساس بالمشاعر. وخالد محفوظ، قد عاش الكثير من المشاعر السلبية خلال الشطر الأول من حياته؛ وفي الحقيقة هو شخص عاطفي، لأن الفرق بين المشاعر والعواطف يكمن في أن "العاطفة لم تكن أبدا بعيدة عن العذاب والتراجيديا"[4]. اجتاحت خالد محفوظ جملة من المشاعر في أغلب الأحيان هي: الغضب، اليأس، الألم وغيرها.

[1] الرواية، م.س، ص 157.

[2] إيكهارت تول: أرض جديدة، تر: سامر ابو هواش، مجلة الابتسامة الالكترونية، دط، دت، ص 58.

[3] المرجع نفسه، ص 83.

[4] ميشيل لكروا: عبادة المشاعر، م.س، ص 137.

العواطف تكون دوما محملة بالألم؛ لذلك تطغى المشاعر السلبية على الشخص، ويحمل اتجاه كل الأشياء والأمور في حياته انطباعا سلبيا بدءا من نفسه، وانتهاء عند الآخرين وكذلك الظروف، فيعطينا خالد محفوظ انطباعا سلبيا نحو ذاته: "لمحت انعكاس وجهي على زجاج المكتبة، فامتلأت نفسي بالضيق. تأملت الصلع الخفيف في مقدمة رأسي. لو كنت على شيء من الوسامة لوفرت على نفسي الكثير من الجهد ولكان نجاحي سهلا!"[1]. كان هذا إيحاء مباشر لكونه غير راض على شكله، ويتمنى لو كان وسيما ليسهل عليه النجاح.

سيطرت المشاعر السلبية المتكررة على خالد محفوظ في هذه المرحلة، ويمكن تلخيص أهم هذه المشاعر فيما يلي:

1- الشعور بالغضب: يمكن القول أن خالد محفوظ قد شعر بالغضب في أغلب الأحيان، إن كان يبدو أن هذا الغضب موجه نحو الآخرين أو سببه هو الظروف إلا أنه في الحقيقة هو غضب داخلي موجه إلى نفسه، خاصة عندما يتحدث عن مظهره.

يحاول خالد محفوظ إبراز غضبه لأنه يريد أن يبدو شخصا مسيطرا وقويا، يقول: "لم أدري ماذا أفعل أو أقول.. تملكتني رغبة جامحة في أن أشعرها، أنني غاضب، إنه لا يوجد أي عذر في العالم لتترك رجلا عازبا يوصلها بسيارته ثم تقف بعدها بصفاقة أمامي لتصنع الخطأ علي.. أمسكت بمزهرية وقذفتها نحو الحائط بكل ما أملك من قوة، فتهشمت وتساقطت قطعا على الأرض"[2].

يجتاح الإنسان الغضب وبقوة فيجعل الشخص غير قادر على السيطرة على مشاعره، ويبالغ في تصرفاته ولذلك نجد خالد محفوظ قد حاول إظهار غضبه الشديد عن طريق رمي المزهرية نحو الحائط وتكسيرها، والشعور الناتج عن ذلك سوف يبدو له كأنه انتصر على عدوه أو منافسه.

وقعت لخالد محفوظ جميع تلك الأحداث كأنها عمدا تثير غضبه، وإن كانت الحقيقة أنه مسؤول عن كثير منها، أو هو الذي أدى إلى حدوثها ، فإن نتيجة ذلك دوما هي شعوره بالغضب: "مسحت دموعي وغادرت البناية وأنا اغلي من الغضب"[3]. وعبر عن ذلك أيضا بقوله: "ارتطمت بأحدهم فتوقفت وهتفت بغل ..."[4].

توقفه لم يكن في هذا الحد؛ أي الشعور بالغضب فحسب، بل تعداه إلى افتعال الشجارات لتفريغ غضبه: "اشتعلت غضبا. لن يستخف بي والد ليلى وهذا السائق في نفس الليلة"[5].

تصبح نتائج الغضب دوما غير محمودة، ذلك أن الشخص الغاضب يصبح في غير وعيه، يقول مالا يعني، ويقوم بأفعال خطيرة في أغلب الأحيان تؤدي به إلى إيذاء الآخرين أو إيذاء نفسه. وفي حالة خالد محفوظ فإن

[1] الرواية، م.س، ص 39.
[2] المرجع نفسه، ص 76.
[3] المرجع نفسه، ص 87.
[4] المرجع نفسه، ص 88.
[5] المرجع نفسه، ص 90.

افتعاله للشجار مع سائق المكيروباص قد أثار غضب هذا الخير وضربه على مؤخرة رأسه، وما حدث نتيجة لذلك هو فقدان خالد محفوظ لبصره!.

2- الشعور بالخوف: الخوف من أسوء المشاعر التي يحس بها الإنسان، أنها تعني عدم الأمان. والخوف عدة أنواع: خوف من النفس، خوف من الآخر، خوف مما هو آت... وقد اختبر خالد محفوظ عدة أنواع من الخوف، وأول خوف واجهه ولم يستطع التغلب عليه هو الخوف من النجاح! لم يكن مستعدا بعد ليكون شخصا ناجحا، لم يؤمن بنفسه، وهذا ما أدى به إلى الفشل في عمله وحياته الخاصة أيضا.

تعرض خالد محفوظ لنوع آخر من الخوف؛ الخوف من الناس، وإن كان يبدو أن الشخص الآخر هو الذي أخافه ولكن الحقيقة هي أن خالد محفوظ هو من استثاره عندما افتعل شجار معه، وما حدث هو ما رواه خالد محفوظ: "فجأة شعرت بخوف طاغ يغزوني. تلاشى كل غضبي ورغبتي في خوض أي معركة أتأذى فيها لتندم ليلى وأهلها، وامتلأت نفسي بالذعر. هذا الرجل غير طبيعي، والمنطقة التي أوقف فيها الميكروباص مظلمة خالية لا أحد حولنا، والماسورة في يده تؤذيني بشدة لو استخدمها ضدي. لا أريد أن أموت الآن!"[1].

أصبح الخوف من الشخص أدى به إلى الشعور بخوف أكثر؛ الخوف من الموت. الخوف من الواقع أدى بخالد محفوظ إلى العمى، وهذا ما يؤكد عليه الطبيب الذي عالجه بالمستشفى حيث أنه: "في اليوم التالي لعودتي من المستشفى فوجئت بعماد يخبرني بأنه زار طبيبا نفسيا واستشاره بخصوص حالتي، وأخبره الطبيب أنني في الغالب أخشى رؤية شيء ما في حياتي، لذلك انتهز عقلي الباطني حادث الاعتداء على ليكون مبرر لأفقد بصري!"[2]. كان العقل الباطني لخالد محفوظ يحاول التغلب على المخاوف التي يعيش فيها بأن جعله يفقد بصره، فإن الحالة التي أصبح عليها بعد العمى لم تكن أفضل مما كان عليه.

صار الخوف من الواقع لخالد محفوظ فيما بعد خوفا من الظلام الذي سببه العمى، يقول خالد محفوظ: "كان الظلام الذي يحيط بي يفزعني، يفزعني أنني حينما أفتح عيني على اتساعهما لا أرى سوى الظلام في كل مكان، كأني انتقلت إلى عالم لم يعرف يوما الكهرباء ولا الشموع المضيئة. قضيت الأيام الأولى أشعر بالرعب والضياع لعدم قدرتي على تحديد الاتجاهات والأبعاد، كأنني سقطت في هوة لا أدرك قرارها، أو أسبح في بحر لا أعرف عمقه، وكانت خالتي تستيقظ ليلا على صوت بكائي، أو تفزع حينما تجدني فجأة استنشق الهواء بعنف كأني اختنق. كنت أشعر أنني أغرق في البحر المظلم"[3]. سيطرت الخوف على خالد محفوظ جلب معه مشاعر سلبية أخرى مثل الضيق والفزع والضياع.

3- الشعور بالغيرة والحسد: يرى خالد محفوظ أن الحياة معطاءة مع البعض فقط، والبعض الأخر شحيحة معه، إن هذه النظرة القاصرة اتجاه الحياة جعلته يقع في شرك الغيرة والحسد، وهي من أبغض المشاعر، ليس لأنهما يسببان أذية للناس ولكن الضرر الأكبر يكون من نصيب الشخص الحسود غالبا.

---

[1] الرواية، م.س، ص 91.

[2] المرجع نفسه، ص 108.

[3] المرجع نفسه، ص 106.

عاش خالد محفوظ هذه المشاعر إذ يقول: "حينما كنت أتابع برنامج من سيربح المليون كنت أسخر من بلاهة الأسئلة. السؤال الحقيقي الذي سيحصل من يجيب عليه على المليون هو: لماذا الحياة معطاءة مع البعض وغير عادلة مع الآخرين ؟!"[1]. كان خالد محفوظ ينظر إلى الناس الأكثر حظا منه بغيرة وحسد، ولكن أكثر شخص وجه له هذه المشاعر هو صديقه سمير خليل!.

4- الشعور باليأس: اليأس شعور مظلم، والطريق الذي يؤدي بالشخص لليأس هو طريق مجهول، وجميع الاحتمالات السيئة يمكن أن يصل إليها هذا الشخص، ومثال ذلك خالد محفوظ، واليأس الذي تملكه تجلى في قوله: "لن أتردد، لو ترددت سأتراجع، لم يعد هناك ما يستحق العيش من أجله، النور انطفأ من حياتي، وليلى خانتني، وكتابي فشل، وسمير خليل نجح في كل ما فشلت فيه، حتى في الحصول على قلب زوجتي و جسدها!"[2]. يئس من الحياة ومن الظروف ومن الأشخاص الذين يعيشون فيه.

5- الشعور بالانتقام: الانتقام في العادة يكون عن الأشخاص بأذيتهم، إنه ينتج عن الشعور بالظلم الذي يتعرض له الفرد من أناس آخرين، ولكن حالة خالد محفوظ فإن انتقامه امتزج مع يأسه، وقد عبر عنه خالد كما يلي: " هناك مرارة تملأ صدري، بدأت يداي ترتعشان. ملأتني فجأة رغبة عارمة في الانتقام، نفس الرغبة التي انتابتني وأنا أهبط درجات سلم منزل أهل ليلى. يجب أن أنتقم من نفسي ومنهم، سأجعل ليلى تندم على ما فعلته، كل من يعرفني سيندم على أنه لم يهتم بي بما فيه الكفاية، على أنه خانني، على أنه لم يضع مشاعري قبل أي شيئا خر في حياته"[3]. كان اجتماع كل من اليأس والشعور بالانتقام في نفس خالد جعله يتخذ قرارا طائشا؛ وهو محاولة الانتحار!.

لم تكن هذه المشاعر فقط هي التي اجتاحت خالد محفوظ بل قد شعر بمشاعر سلبية أخرى، وما يمكن قوله هو أن خالد محفوظ شخص عاطفي، بما تحمله كلمة عواطف من معنى -الألم- وما حدث هو أن العواطف استهلكت خالد محفوظ لأنه لم يستهلك أي مشاعر؛ لم يظهر أي مشاعر إيجابية في هذه الفترة من حياته، وما أكثر المشاعر الإيجابية في هذه الحياة!.

[1] الرواية، م.س، ص 82.
[2] المرجع نفسه، ص 159.
[3] المرجع نفسه، ص 158.

3- علاقة الذات بالجسد:

كان الكثير من يخلط الناس بين أشكال أجسادهم وذواتهم الحقيقية، فعند سؤالهم عن أنفسهم فعادة ما يعتقدون إن أشكالهم هي أهم يمتلكونه، وعلى هذا الأساس يصنفون أنفسهم حسب المظهر. وما ينتج عن ذلك إما أنهم يستمدون قوتهم من أجسادهم إذا كانوا ذو مظهر جيد، وإما يقعون في فخ عدم الثقة بالنفس، ويعيشون حياة بائسة بسبب أشكال أجسادهم.

تعريف الذات حسب الشكل هو خطا شائع، كما أنه غير دقيق حيث "تنشأ "الأنا" حين يتم الخلط بين إحساسك بالكينونة، بالذات، التي هي وعي بالشكل. هذا هو نسيان الكينونة، الخطأ الأصلي، وهم الانفصال المطلق الذي يحول الواقع إلى كابوس"[1]. حيث يعتقد هؤلاء الأشخاص الذين يرون أن أشكالهم أهم ميزة فيهم في هذا الخلط، في الحقيقة إنهم يتماهون مع أجسادهم أكثر فأكثر وبذلك يبتعدون عن ذواتهم الحقيقية؛ عن كينونتهم.

يتميز الإنسان بالعقل، وعندما يكون الاعتقاد بأن الكيان البدني هو أهم ميزة فيه، يعني في الحقيقة أن ذلك الاعتقاد تجاهل لجوهر الإنسان لأن "جميع ما قد تراه في الكومة التي يتكون منها كيانك البدني سوف تراه أيضا الفيل والحصان [...] إن الجزء الأعظم من كيانك الحقيقي هو شيئي فيما وراء الكيان البدني يسمى عقلك، أو مشاعرك، أو أفكارك، أو إدراكك، ومهما يكن شكل هذا الكيان الحقيقي، فإنه بالتأكيد ليس كيانا ماديا. إن جميع أفكارك ووعيك الروحى تقع فى نطاق غير بدنى أو شكلى"[2]. يؤدي الاعتقاد بأن الكينونة تغني الجسد إلى إحداث تعاسة للإنسان.

تأثير الشكل على الجسد هو خالد محفوظ الذي يعتقد أن سبب فشله هو شكل جسده، يقول: "لمحت انعكاس وجهي على زجاج المكتبة، فامتلأت نفسي بضيق. تأملت الصلع الخفيف في مقدمة راسي. لو كنت على شيء من الوسامة لوفرت على نفسي الكثير من الجهد ولكان نجاحي سهلا!"[3]. إن خالد محفوظ يلوم الحياة التي منحته جسدا غير جميل فصعب من نجاحه.

[1] إيكهارت تول: أرض جديدة، م.س، ص 55.

[2] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 28.

[3] الرواية، م.س ، ص 39.

تقيم خالد محفوظ لمظهره دوما ما يشعره بالإحباط، يقول: "يحبطني أني لا أملك شيئا تجاه الصلع، أنه كالفشل، قوة أكبر مني لا يمكنني التغلب عليها، بإمكاني دائما ممارسة الرياضة لأتخلص من وزني الزائد، لكن الصلع لا تصلح معه أي تمارين. لم أتحمس يوما للانتظام في الرياضة، فحتى لو حصلت على جسد رياضي فبماذا سيفيدني هذا وملامحي عادية؟"[1]. كان ذالك معبرا بشكل كبير عن مدى عدم رضا خالد محفوظ عن ذاته.

تأثير عدم الرضا على خالد محفوظ جعله في مقارنة بين نفسه -خاصة جسده- وبين صديقه سمير خليل، هذا ما أدى به إلى الغيرة منه واعتباره منافسا له في كل شيء خاصة في مجال العمل. يقول :"صديقي سمير خليل استطاع أن يصنع شهرة سريعة في عالم الكتابة بوسامته وثقته من تأثير جهة الحسن على الآخرين، فلو كان عادي الملامح مثلي لما التفت إليه الناشر حينما قدم إليه روايته الأولى، وما منحه النقاد الذين طاف عليهم بأي فرصة. نحن للأسف نميل لمنح الفرص لذي الأشكال الحسنة لأننا نعتقد في قراراتنا أنهم يستحقون مادامت الحياة اعتقدت نفس الشيء ومنحتهم الوجه الحسن!"[2].

كانت علاقة خالد محفوظ بجسده هي علاقة غير جيدة، لأنه غير راض عن شكله، وتأثير ذلك عليه كان تأثيرا سلبيا، سبب له عدم الثقة في ذاته، وجعله في مقارنة دائمة مع صديقه، قد نتج عن ذلك شعوره بالغيرة والحسد. وليست هذه فقط المشكلات التي سببتها له هذه النظرة نحو ذاته، لقد جعلته ساخطا على الحياة وسببت له شعورا بالظلم " لماذا الحياة معطاءة مع البعض وغير عادلة مع البعض الأخر".

[1] الرواية، م.س، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص 40.

المبحث الثاني: علاقة الأنا بالآخر

1- صور الأنا عن الآخر:

تعود فكرة خالد محفوظ عن الآخرين إلى كونها فكرة مشوهة، والسبب في ذلك أن أفكاره الخاصة به مشوهة بالدرجة الأولى، ثم أفكاره عن الآخرين. وهذا ما يتبين لنا من خلال مجموعته القصصية الأولى التي نشرها، وكذلك من خلال طبيعة علاقته بالآخرين.

كانت فكرة خالد محفوظ السلبية عن الآخرين إلى أنه لا يعرفهم حق المعرفة، فعلاقاته مع الآخرين كلها سطحية، وفي الحقيقة هذا يرجع لكون علاقته مع نفسه -أولا- سطحية، لأن "العائق الأكبر أمام معرفة الآخرين هو معرفتنا الخاطئة أو المشوهة بذاتنا، نحن ننقل حالتنا الداخلية دائما إلى العالم الخارجي، شئنا أم أبينا، وتحدد علاقتنا بأنفسنا علاقاتنا بالآخرين أيضا، من يبالغ في القسوة اتجاه نفسه، ويعاملها دون رحمة، يكون كذلك مع الآخرين أيضا. من يخدع محيطه أيضا، ... من يخدع نفسه كثيرا، يخدع محيطه أيضا، من يفهم نفسه، يفهم الآخرين"[1].

تركزت النظرة العامة لخالد محفوظ عن الآخرين أبداها علانية في مجموعته القصصية، فالقصص التي تناولها جعل أبطال قصصه أشخاص سيئين، بل تعداه إلى جعلهم قاتلين، ففي القصة التي جاءت بعنوان " طوفان" بطل القصة يقتل أخاه عن طريق الخطأ بسبب غضبه الشديد منه، ثم بقلب بارد يضع أخاه في كيس قمامة ثم يرميه في مياه المصرف والشيء الوحيد الذي يفعله في النهاية هو البكاء على أخيه فقط!!.

حاول في القصة التالية التي عنوانها "خطأ" تصوير أن البطل تعلم القيادة لذلك يذهب في الصباح الباكر إلى طريق وسط الصحراء يقود سيارة بسرعة كبيرة، يظهر رجل أمامه يقطع الطريق فيصدمه، ولكن المصيبة هي أنه لا يشعر بالندم! أنه يلقي باللوم على الرجل الذي خرج من بيته مبكرا. ثم ينسى الأمر ويحاول الحصول على الرخصة مرة أخرى.

نظرة خالد السوداوية للوجود وللآخرين جعلته يبالغ كثيرا في أفعال أبطال قصصه، ولعل تعليق صديقه سمير خليل عليها يكون ردة فعل كل من يقرا هذه القصص فقوله: " خالد! أنت لا تعتقد فعلا إن شخصا عاديا مثلي ومثلك، لم يرتكب من قبيل جريمة؟ يمكنه أن يصبح قاتلا فجأة ويتصرف بتلك التلقائية دون أي شعور بالذنب.. أنت فقط تتعمد صدم القارئ!"[2]. نظرة خالد محفوظ للبشر شديدة القسوة، وقد أجبر شخصيات قصصه على القيام بما فعلوه، وهذا هو الانطباع العام التي تخلفه هذه المجموعة القصصية.

---

[1] بيتر بوير: تدريب المشاعر– دراسة نفسية، تر: الياس حاجوج، منشورات وزاره الثقافة في الجمية العربية السورية، سوريا، دط، 2002، ص36.

[2] الرواية، م.س، ص 60.

ركز خالد محفوظ في فكرته عن الآخر الموجود في حياته مثل عائلته وأصدقائه، هو أيضا يملك فكرة مشوهة عنهم، خاصة حول صديقه سمير خليل الذي يرى أن الحياة تحبه وتعطيه كل ما يريد دون بذله لأي مجهود، يقول: "صديقي سمير خليل استطع أن يصنع شهرة سريعة في عالم الكتابة بوسامته وثقته من تأثير وجهه الحسن على الآخرين... لوكان عادي الملاحم مثلي لما التفت إليه الناشر حينما قدم إليه روايته الأول [...] نحن للأسف نميل لمنح الفرص لذوي الأشكال الحسنة لأننا نعتقد في قدراتنا أنهم يستحقون ما دامت الحياة اعتقدت نفس الشيء ومنحتهم الوجه الحسن!"[1].

يرى خالد محفوظ أنه أكثر موهبة من صديقه سمير خليل ولكن لأن هذا الأخير وسيم فإن النجاح كان من نصيبه، يقول: "ولكن لم يحضر سوى سمير خليل زميل الجامعة ورفيق الأحلام الأدبية. روايته الثالثة نفدت طبيعتها الأولى منذ أيام حسبما سمعت. ربما لو كنت على شيء من الوسامة مثله للقيت مجموعتي القصصية الأولى بعض الاهتمام!"[2].

اعتماد خالد محفوظ هذا هو في الحقيقة تقليل من موهبة صديقه، فهو يرى أنه لا يستحق النجاح الذي وصل إليه. والحياة أهدته إياه على طبق من ذهب، فالمقارنة الدائمة لنفسه مع سمير خليل دوما تكون على نهج أنا أفضل منه وأكثر موهبة ولكن الحياة غير عادلة معي أما صديقي سمير خليل فهو لا يملك من الموهبة شيئا ولا يستحق النجاح لأنه حدث فقط بسبب وسامته.

وهذا المقطع يبين ذلك، يقول: "في الكلية كنت أحصل على المركز الأول في مسابقة القصة القصيرة السنوية، بينما كان سمير يحصل على المركز الخامس! صاحب المركز الخامس يعتقد الآن أنه لأنجح والأكثر شهرة لأن وسامته لفتت الأنظار إليه في حفلات التوقيع وجعلت الفتيات يتهافتن لنيل نظرة منه، بينما الفتيان يتناقلون رواياته فيما بينهم بحثا عن مشاهد الجنس الرخيصة بداخلها!"[3].

ربط خالد محفوظ فكرته عن نفسه أيضا بفكرته عن الآخر لأنه ينظر إلى الآخر كأنه منافس له، وحياته سهلة دون مشاكل على العكس منه يعيش حياة صعبة، يقول: "لماذا يحصل سمير خليل على كل شيء بينما خالد محفوظ لا يحصل على شيء؟!. لماذا يبلبل يهوه حياة خالد محفوظ ويربت بحنو على حياة سمير خليل؟! لماذا يتعارض خالد محفوظ للإهانات في منزل أهل ليلى على الرغم أنه لم يفعل شيئا ليستحق هذا؟!"[4]. وهذا الآن يرتدي قناع الضحية فلابد من أن يرى الآخرين دوما في زي الجلاد.

[1] الرواية، م.س، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 48.
[3] المرجع نفسه، ص 60.
[4] المرجع نفسه، ص 82.

نلاحظ أن علاقة خالد محفوظ بالآخر السيئة لم تظهر من خلال أفكاره عن صديقه خليل سمير، بل أيضا من خلال تفكيره القاصر حول زوجته ليلى؛ هي سبب المشاكل التي تحدث بينهما دوما وهو المظلوم دائما، يقول: "كما حدث بالأمس، استغلت بعض أخطائي لتقلب المائدة فوق رأسي وتظهر في صورة الذنب، بينما هي الملاك البريء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!"[1]. كان في حقيقة الأمر ما يعتقده حول زوجته ليلى بأنها ملاك وهو الذنب غير صحيحة، لأنه هو من يرى دوما أنه على صواب والآخرين غلى خطأ.

جعل حادثة العمى التي أصابته مسؤولية زوجته ليلى لأنها طلبت منه الطلاق، رغم أن ما حدث له كان سبب استفزازه لسائق الميكروباص، ويوجه لها التهمة علانية: " أنت من دفع بي إلى هذا المصير، أنت تركت عمك يجرحني ويحطمني.. كل ذنبي أنني أحببتك، لكنك مادية، تريدين فقط أن تعيش في وضع اجتماعي تتباهي نبه أمام الآخرين.. كنت تعرفين أنني لن أتحمل كلمات عمك القاسية، ومع ذلك أصررت على الطلاق وغادرت البيت وتركت عمك يكلمني بتلك الطريقة.. والآن ما رأيك فيما أصابني؟.. هل أنت سعيدة؟"[2]. لم ينظر إلى السبب الحقيقي لفقدانه لبصره وحمل المسؤولية لزوجته ليلى.

أصبح خالد محفوظ لا يملك أي مسؤولية اتجاه نفسه، فكل ما حصل ويحصل له بسبب الآخرين، ولأن الحياة عادلة مع الآخرين وظالمة له، فكره في الواقع مشوه حول ذاته وحول الظروف وحول الآخر. لقد سيطرت عليه ذاته المزيفة "الإيجو" فأصبح يعيش في وهم، وقد تماهى مع قناعه لأقصى الدرجات، وسبب كون خالد محفوظ على هذه الشاكلة هو لأننا "نحن لا نريد أن نرى ولا أن ندرك كل ما يوجد في "جعبتنا النفسية" غير أننا نحملها حتى لو لم ننظر في داخلها، إن الدفاع والتزييف والأوهام لا تسفر سوى عن أننا، ولمنفعة عافيتنا الآنية، ورضانا عن أنفسنا، نفوت فرصة التعرف بشكل واقعي إلى حقائقنا النفسية المتأصلة، وربما محاولة تغيرها"[3].

يعيش خالد محفوظ شخصية ذات مظهر مزيف، زيف داخل نفسه وخارجها، فنظرة حول نفسه انعكست على الآخرين وعلى الوجود الذي يعيش فيه. في هذه المرحلة من حياته لم يحدث له سوى الأحداث الدرامية وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى تفكيره الزائف ونظرته السوداوية للوجود وغرقه في ظلمات الأنا التي سيطرت على جميع أفكاره؛ وجميع الأفكار السلبية التي كان يعتقدها أو يتوقع حدوثها قد حدثت له بالفعل. كانت أفكاره السلبية تجدب الحوادث السيئة إليه مثلما يجدب المغناطيس براد الحديد إليه.

[1] الرواية، م.س، ص 151.
[2] المرجع نفسه، ص 122.
[3] بيتر بوير: تدريب المشاعر، م.س، ص 36.

2- العلاقة الشعورية للأنا مع الآخر:

تطابقت مشاعر خالد محفوظ نحو الآخر مع أفكاره نحو الآخر أيضا ذلك أن المشاعر والأفكار مرتبطين ببعضهما البعض، حيث أنه: "ليس ثمة ما يعزز "الأنا" أكثر من أن تشعر بأنها محقة. فهذا يعني التماهي مع عقلية، مع منظور ما، مع رأي، محكم قيمي ما، مع قصة ما، ولكي تكون محقا تحتاج بالطبع أن تكون سواك مخطئا، فتحب"الأنا" البحث عن الأخطاء لكي تكون محقة. بكلمات أخرى: تحتاج إلى أن تجعل الآخرين مخطئين لكي تستمد شعورا أقوى بماهيتك. ويمكن تحويل، لا شخصا فقط، بل ظرفا أيضا، إلى مخطئ من خلال التذمر والتفاعلية، الذين يحملان دائما المعنى الضمني "هذا لا ينبغي أن يحدث"[1].

تفكير خالد محفوظ تفكير مشوه فقد نتجت عنه مشاعر مشوهة أيضا، فلكي يحس بأنه محق دوما ما يلقي اللوم على الآخرين وعلى الظروف أيضا، ويبحث كذلك عن أخطائهم ليستمد الشعور بماهيته، والأفكار- كما بينا سابقا- مسؤولة عما يحدث لنا بشكل كبير، فكل ما تفكره فيه يحدث لك، وإذا تغذت على المشاعر السلبية فسوف تحدث ضررا هائلا للإنسان، ويحدث ذلك الآن:" العقل اللاواعي يقبل كحقيقة ما تشعر به أنت انه حقيقة. إن مشاعرك تحدد حقيقتك لأنها مطبعة على اللاوعي، إذا كنت تشعر في وعيك أنك يائس، وتستمتع بهذه الفكرة في خيالك مع المزيد من مشاعر اليأس المتخيلة، فستطيع بذلك على العقل اللاوعي فكرة الفشل. بناء على ذلك، سيقدم لك العقل اللاواعي الكوني تجارب تتطابق مع ما شعرت أنه صحيح"[2].

سمح خالد محفوظ لمشاعر أن تتطابق مع أفكاره السلبية وتسيطر عليه، ذلك من خلال ما أظهره من غيرة وحسد اتجاه صديقه، الاستغلال والغضب اتجاه زوجته ليلى. والمشاعر الايجابية الوحيدة التي أحس بها هي مشاعر الامتنان اتجاه خالته وابنها عماد. ورغم اعتقاد خالد محفوظ أنه يمتلك مشاعر الحب نحو زوجته إلا أنه في كثير من الأحيان اجتاحته مشاعر سلبية اتجاهها، مثل مشاعر الغيرة في قوله: "بعد زواجنا صارحتني أنها تفكر في إقامة معرض لوحاتها، فسخفت من الفكرة وصارحتها بأن رسوماتها لا ترقى لدرجة الاحتراف. لكني كنت أنوي بيني وبين نفسي أن أقيم لها معرض بعد أن تنجح كتاباتي وأصبح مشهورا. لم أكن أريدها أن تعرض لوحاتها قبل ذلك لأنها لو نجحت فسيبرز نجاحها فشلي وتأخري!"[3].

---

[1] إيكهارت تول: أرض جديدة، م.س، ص 43.

[2] واين داير: رغبات محققة، تر: محمد ياسر حسكي، منال الخطيب، دار الخيال، ط1، 2015، ص 164.

[3] الرواية، م.س، ص 126.

يغار خالد محفوظ من نجاحها لاعتقاده أن فشله سوف يبرز أكثر، فتعمد التقليل من موهبة زوجته حتى لا يحدث ما يخشاه، فبعدما أصبح خالد محفوظ أعمى قامت زوجته ليلى بالاعتناء به، وهذا ما جعله يستمتع بخدمتها له: "استمتعت كثيرا بأن اطلب شيئا فأجدها تحضره دون اعتراض، لدرجة أنني أصبحت اطلب منها أن تصنع لي أشياء لست في حاجة إليها فقط لاستمتع بطاعتها لي ورغبتها في خدمتي"[1]. وكان عازما أيضا على استغلالها.

تراكمت مشاعر الغير والحسد اتجاه صديقه سمير خليل، قد تراكمت هذه المشاعر لتتحول إلى تمني السوء لصديقه، يقول: "دائما سمير خليل، في كل مرة سمير خليل. ليته يموت لأرتاح منه، كان المفروض أن يصاب هو لا أنا!"[2]. أنه يعتبر صديقه عدو له ويتمنى له كل الشرور، وهذا مالا يحدث بين الأصدقاء الحقيقيين.

كانت مشاعره اتجاه خالته وابنها عماد كانت مشاعر حب وامتنان لرعايتهما له وعدم التخلي عنه حتى في أصعب ظروف، ولكن مع ذلك فإنه أصبح يمتلك مشاعر سلبية في بعض الأحيان اتجاههما، خاصة بعدما أصبح أعمى فقد أصبحت شخصيته حساسة جدا لأبسط شيء يحدث له، يقول: "كان يتعاملان معي بعطف وحنان مبالغ فيهما وكنت أشعر بالامتنان أحيانا، بالغيظ والضيق أحيانا أخرى، لكني كنت أتعامل معهما بعصبية ونفاذ صبر في كل الأحيان، خصوصا مع الأخطاء التي كانا يرتكبانها غير متعمدين"[3].

كانت أيضا مشاعره اتجاههما على الأقل كانت مشاعر عابرة، لأنه يغضب منهما أحيانا ويلقي بلوم عليهما، ولكنها لا تحمل أي حقد أو كره اتجاههما، يقول: "شعرت بالغيظ ووددت لو أضرب رأسه في الحائط، لكن تمالكت نفسي"[4]. فكانت المشاعر السلبية مسيطرة على خالد محفوظ اتجاه الآخرين خلال هذه الفترة، وكان شديد الانفعال.

[1] الرواية، م.س، ص 125.
[2] المرجع نفسه، ص 134.
[3] المرجع نفسه، ص 110.
[4] المرجع نفسه، ص 115.

3-العلاقة السلوكية للأنا مع الآخر:

اتخاذ خالد محفوظ من السلبية في أفكاره ومشاعره جعل من سلوكه لابد أن يكون فظا وتعامله مع الآخرين سيئا، ولا عجب أن يحدث هذا لأنه "لن يتولد لديك أى إحساس دون أن تكون لديك فكرة تسبق مثل هذا الإحساس. إن سلوكك يعتمد على أحاسيسك التى تعتمد أساسا على أفكارك، ولذلك فإن ما يجب عليك فعله هو إلا تقوم بتغير سلوكك ولكن تغير الأشياء التي توجد بداخل وعيك وإدراكك والتى نسميها الأفكار. وبما أن أفكارك تعكس ما تريده، فإن ذلك يتبعه بطريقة إليه العواطف الملائمة والسلوك"[1]. كان هذا واضحا تماما من سلوك خالد محفوظ الذي تناسب مع أفكاره ومشاعره.

كان الانفعال مسيطرا على سلوكه مع زوجته ليلى غالبا بسبب الشجارات الكثيرة التي يخوضانها، وفي أحيانا كثيرة يصرخ عليها، يقول: "في العادة كنت انفجر في وجهها، وأهتف أنني لا أحبها أن تتزين بهذا الشكل المبالغ فيه كي لا تلفت أنظار الرجال إليها، إنني لا أرضى لنفسي أن أرى أحدا يرمقها ولو على سبيل الفضول.. أحيانا كان يبلغ بي الغيظ مبلغ إهانتها، فأصارحها أنها ليست جميلة كما تظن..."[2].

قيام خالد محفوظ بهذه التصرفات الطفولية لم تكن هي الوحيدة التي قام بها اتجاه زوجته، لقد حدث أن حاول استفزازها من خلال كتابة قصة مسيئة عنها، يصور نفسه الضحية وهي التي تظلمه، لقد حاول من خلال تصرفه هذا أن يشعرها بالذنب في قوله: "أفزعني كلامها. كنت أتوقع أنها بعد أن تسمع القصة ستشعر بالذنب اتجاهي من جديد، ولم أتوقع ردة فعلها العنيفة هذه"[3].

تركه لزوجته أيضا كان أسوء سلوك، ذلك عندما تركها في حفل التوقيع وعاد وحده إلى المنزل ولم يترك معها نقود، قام بلومها عندما أوصلها صديقه سمير إلى المنزل، وتشاجر معها:" صرخت بها: ...كيف تسمحين لنفسك أيتها الزوجة الفاضة بأن يوصلك شخص غريب؟"[4].

أغلب سلوكاته مع زوجته كانت عبارة عن شجار وصراخ عليها، لأنه دوما يتغاضى عن أخطائه ويحاسبها على أخطائها هي فقط. وقام خالد محفوظ بالعديد من السلوكات السيئة اتجاه زوجته، ومن المواقف التي عاملها فيها بفظاظة، يقول: " كان باب غرفة النوم نصف مفتوح، وظننته أنا مفتوحا./ أسرعت ليلى نحوي لتساعدني، فأخذت أصرخ بها: اللعنة! كيف تتركين أحد الأبواب مواربا وهناك كفيف في المنزل؟ أي شخص يملك عقلا يدرك أنه يجب أن نترك الأبواب أما مفتوحة تماما أو مغلقة تماما ليتمكن من هو مثلي من التعامل معها![5] ".

---

[1] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 74.

[2] الرواية، م.س، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص 148.

[4] المرجع نفسه، ص 75.

[5] المرجع نفسه، ص 134.

كان خالد محفوظ يتمادى في سلوكاته مع زوجته لم تتوقف عند حد الشجارات معها، بل تمادى معها عندما أصبح يتحدث بسوء عنها من وراء ظهرها مع الغرباء، يقول: "قلت لها بألم: أنت تعرفين أن زوجتي هي السبب الأول فيما حدث لي، ربما هي المسؤولة عن فقداني لبصري أكثر من سائق الميكروباص الذي اعتدى على.. طوال عمرها كانت تتعمد إهانتي والتقليل من شأني ..."[1].

سمعته يتحدث عنها بسوء وتشاجرت معه، ومع ذلك فإن لم يرى نفسه مخطئ وبأنها تستغل بعض أخطائه لتهاجمه، لم تكن زوجته هي الشخص الوحيد الذي عاملها بسوء، وحتى خالته وابنها عماد الذين عاملاه بلطف شديد كان ينفجرا فيهما غضبا عندما يقومان بالأخطاء البسيطة، يقول: " كان عماد يجذبني بقوة، ضايقني هذا فنزعت ذراعي من يده وهتفت به بغيظ: أنت لا تسحبني بل تجرني! أنا لست حمارا لتفعل بي هذا./ أسرع عماد يعتذر: معذرة يا خالد، لم أنتبه. سأسحبك برفق.. لو ضايقك أي شيء أخبرني على الفور"[2].

كان خالد محفوظ يغضب على أتفه الأسباب، ودائما ما يثور في وجه خالته وابنها يقول: "ثرت و هجت ومجت وتحركت بعنف فسقطت على الأرض، وأنا أصرخ بعماد: قلت لكم مرارا وتكرارا أنا لست مجنونا! أنا فقدت بصري لأن ذلك الوغد ضربني على رأسي، لست فاشلا لدرجت أن أفقد بصري لأهرب من فشلي.. أنتم كلكم أغبياء، أغبيااااااااء!"[3]. صار سلوك خالد السيئ يتفاقم كثيرا منذ أصبح أعمى، فقد أصبح قليل الصبر ودائم الانفعال.

نلخص ردة فعل خالد محفوظ على كل من خالته وعماد فيما يلي:

يقول: "فزعت وقفزت من مكاني، كنت شاردا فلم انتبه لخطواته حينما اقترب مني./ هتفت بانزعاج: لا تكلمني فجأه هكذا..."[4]. وذهب أيضا إلى القول: "فظننت أنها تحدثني أنا، فقلت لها بضيق: يا خالتي! كيف سأعرف أنك توجهين حديثك إلي؟ نادني باسمي حينما تفعلين!"[5]. كانت كل تلك السلوكيات تزداد سوءا. والأمثلة كثيرة على تصرفاته الانفعالية وغضبه اتجاهها.

كانت نظرة خالد محفوظ دونية مع الغرباء، حيث كان فظا خاصة مع الناس الذين ينظر إليهم بتعالي، خاصة من هم أدنى منه مرتبة في المجتمع، ومثال ذلك تصرفه مع الأطفال المشردين يوم حفل توقيعه الأول أمام المبنى

[1] الرواية، م.س، ص 149.
[2] المرجع نفسه، ص 116.
[3] المرجع نفسه، ص 109.
[4] المرجع نفسه، ص 110.
[5] المرجع نفسه، ص 111.

يقول: "أزاحت ليلى باشمئزاز الصبي الذي تعلق بفستانها وأسرعت مبتعدة، بينما بحثت في جيبي بسرعة وأخرجت قطعة معدنية دسستها في يد الصبي الآخر لأتخلص منه، محاذرا قدر الإمكان أن تلمس أصابعي يده القذرة، ثم هرولت للحاق بليلى"[1].

غضب خالد محفوظ من شخص جعله يصب غضبه على أي شخص يقابله في طريقه، يقول: " اللعنة على ليلى وأهلها وكل غباء البشرية!/ ارتطمت بأحدهم فتوقفت وهتفت بغل: انتبه أثناء سيرك أيها الغبي!/ رمقني الفتى بدهشة، لابد وأن منظري أزعجه، فغمغم متلعثما أنه معذرة وأسرع مبتعدا./ جبان!"[2].

كان هذا الشخص الغريب قد تجاهل سلوكه السيء اتجاهه، فإنه لم يسلم من المرة التالية التي حاول فيها افتعال الشجار مع سائق المكيروباص، يقول: "ماذا تعني بأنك لن توصلني؟/ ما رأيك في أنك ستوصلني رغما عنك؟! ...صرخت فيه بدوري: ...أنت شخص قليل التهذيب، وستدفع ثمن قلة أدبك!/ -أنا سأريك من هو قليل التهذيب يا روح أمك![3]". كانت الجملة الأخيرة التي رد بها سائق الميكروباص تمهيدا لردة فعل لم يتوقعها خالد محفوظ وأدت به إلى العمى.

نلاحظ أن سلوك خالد محفوظ نحو الآخرين لم يكن جيدا، لم يكن مهذبا معهم، كما أن ردة فعله عليهم مبالغة في أغلب الأحيان. وهذا ما يبرز السيطرة الكبيرة للأنا على خالد محفوظ.

[1] الرواية، م.س، ص 44.
[2] المرجع نفسه، ص 88.
[3] المرجع نفسه، ص 90-91.

المبحث الثالث: مآل الكينونة المزيفة في الرواية

1- لحظة امتحان اليقظة الانتحار:

واجه خالد محفوظ خلال الانتحار ذاته الحقيقية وعاش لحظة الآن، ولكن الوصول إلى هذه اللحظة لم يكن سهلا، لأنه كان بإمكانه -لولا الحظ- إن يلقى حتفه؛ إنها لحظة الانتحار!، ففي اللحظة التي قرر فيها خالد محفوظ إنهاء حياته من أجل الانتقام من كل من يعرفهم وجد نفسه تحاول العيش، يقول: " شعرت بالذعر، وحاولت رفع يدي لأنتزع الكابل من حول رقبتي، لكن يدي لم تستجيبا[1]". عبر خالد محفوظ عن مواجهته لذاته الحقيقية أيضا بقوله: "هتفت بذعر: لكن.. أنا لا أريد أن أموت!"[2].

تغلبت في هذه اللحظة ذاته الحقيقية على ذاته المزيفة التي تحاول الانتقام عن طريق الانتحار وما حدث بعد فشله في الانتحار هو أنه غير نظرته نحو نفسه، فبعد أن كان ساخطا على الحياة وما فيها، يحاول أن يهرب منها، فإنه بعد تلك اللحظة أصبح يقدر الحياة، وأصبح ممتنا لوجوده، ويحمد الله على سلامته، فعندما تغلب على "الأنا" الخاصة به، أصبح يعيش ذاته الحقيقية، فقد انزاح عنه القلق.

كان تعبير خالد محفوظ عن هذا بقول: "انتابتني حالة غير مفهومة من الاستسلام واللامبالاة، لم يعد لدى شيء لأخسره، فشلت في الكتابة، لا عمل لدي، صرت لا أرى، زوجتي خانتني ثم تركتني، اقتربت من الموت ولم أمت، كل هذا جعلني أشعر أنني خفيف الوزن حر، ليس لدي ما أقلق اتجاهه. وبدهشة بالغة أخذت أراقب حالة السكينة التي غزتني رويدا رويدا"[3].

كان خالد محفوظ يعيش الكينونة المزيفة التي اختفت تقريبا، لأنه عاش لحظات الاستسلام التي سوف تغير حياته للأبد، ولأول مرة يعترف بأنه مخطئ، يقول: "استسلمت لفكرة إنني مسؤول عما أصابني، إن ما حدث قد حدث وعلى فقط التعايش معه"[4]. أصبح خالد محفوظ خلال مروره بكل هذا أخيرا يحس بالمسؤولية اتجاه نفسه.

أزالت لحظة الانتحار، ذلك الحاجز الذي حال بينه وبين معرفته لذاته فأصبح يعيش حقيقته، باعتبار أنها مثلت نقطة التحول في حياة خالد محفوظ. وهذه اللحظة هي التي سوف تؤدي به فيما بعد للبحث عن السلام الداخلي الذي يطمح إليه كل إنسان وبعد ما عاش خالد محفوظ لحظات الاستسلام بعد الانتحار فإنه يقرر أن يسير في الدرب الذي يجعله يعيش تلك الحالة طول حياته. سوف يحاول تغير ذاته نحو الأفضل والعيش بسلام داخلي قدر الإمكان.

---

[1] الرواية، م.س، ص 159.
[2] المرجع نفسه، ص 160.
[3] المرجع نفسه، ص 164.
[4] المرجع نفسه، ص 165.

الفصل الثاني: كينونة الذات الحقيقية في الرواية

المبحث الأول: أثر الكينونة الجديدة على الذات والآخر

1. أثر الكينونة الفكرية الجديدة
2. أثر الكينونة الشعورية الجديدة

المبحث الثاني: إستراتيجية الذات لبناء الكينونة

1. التأمل واتحاد الذات بالكل العلاقة الشعورية للأنا مع الآخر
2. انحلال وهم الانفصال بين الذات والآخر
3. الذكر وسبيل فناء الأنا في الله

المبحث الثالث: مرايا الذات في الرواية

1. سمات الشخصيات الرئيسية في الرواية
2. مرايا وانعكاسات الشخصيات الرئيسية في الرواية

الفصل الثاني: كينونة الذات الحقيقية في الرواية

المبحث الأول: أثر الكينونة الجديدة على الذات والآخر

1- أثر الكينونة الفكرية الجديدة:

فشل خالد محفوظ في الانتحار جعله يغير نظرته للحياة ويغير من فكره أيضا، وهو نفسه أدرك ذلك، يقول: "حينما أفكر في تلك اللحظات أجد أن ما فعلته حقا وقتها كان تقبل ما أنا فيه. التوقف عن الرغبة، التوقف عن المقاومة، الاستكانة لتيار الحياة. استسلمت لفكرة أنني مسئول عما أصابني، أن ما حدث قد حدث وعلي التعايش معه"[1]. بعد تلك المحاولة شعر خالد محفوظ بحالة من الاستسلام واللامبالاة والسكينة، وهذا ما جعله يغير طريقة تفكيره بعد أن وصل إلى قمة المعاناة حيث لم يعد هناك ألم أكبر.

تخلى خالد محفوظ عن أنانيته وأصبح يفكر في من حوله خاصة خالته وابنها عماد، وقد أراد أن يطمئنهما على حاله وأنه راض بما أصابه فكتب قصة بعنوان "عدم" أملاها على عماد ليكتبها له على الكمبيوتر، يقول: "لم أصارحه أنني أعددتها خصيصا لتكون رسالة تطمين له ولخالتي بأنني أصبحت على ما يرام ولم تعد هناك حاجة ليقلقا بخصوص تصرفاتي القادمة. لم أكن قد انتهيت منها بعد، كنت أنوي استكمالها لاحقا، لكنني أردت أن أسمعه هذا الجزء ليدرك أنني وصلت إلى مرحلة الرضى والتقبل"[2]. لقد تقبل أخيرا واقعه وبأنه مسئول عن حياته.

لقد حاول خالد محفوظ أن يغير من ذاته ومن تصرفاته، فإيمانه بأنه قادر على الاعتناء بحاله دون مساعدة الآخرين المتكررة جعله يحاول أن يحسن من نفسه، وقد بدأ بتعلم الكتابة على الكمبيوتر وهو كفيف بمساعدة عماد الذي كان يصحح له الأخطاء التي يقوم بها في الكتابة حتى أصبح يمكنه أن يفعل ذلك وحده دون مساعدة عماد له.

ليس هذا فحسب بل قد حاول الاعتماد على نفسه في أشياء أخرى، يقول: "ازدادت رغبتي في الاعتماد على نفسي، فعملت بنصيحة ليلى وبدأت أعد خطواتي داخل البيت وأحفظ في ذاكرتي مكان كل شيء"[3]. ومن أجل أن يحفظ كل ذلك استعان بخالته، يقول: "طلبت من خالتي أن تحافظ على كل شيء في مكان معين كي يمكنني استخدامه حين أشاء؛ برطمانات المشروبات وعلبة الكبريت في المطبخ، والصابون وفرشاة ومعجون الأسنان في الحمام، والهاتف المحمول والريموت كنترول الخاص بالتلفاز في حجرة الجلوس"[4].

---

[1] الرواية، م.س، ص 164_165.
[2] المرجع نفسه، ص 169.
[3] المرجع نفسه، ص 171.
[4] المرجع نفسه، ص 171_172.

لقد تغيرت أفكار خالد محفوظ؛ فعندما أصيب بالعمى لم يتقبل قول الطبيب له بأن إصابته نفسية وليست عضوية، وكان يصرخ بأنه ليس مجنون، ولكن بعد حادثة الانتحار أدرك خطأه، وحاول تغيير حياته. يقول: "فوجىء عماد بي أقول له ذات يوم: / أنا على استعداد للذهاب إلى الطبيب النفسي!. / لا بد أنه التفت إليّ بدهشة، وسألني بقلق إن كنت أعني ما أقول. / – يمكنني الآن مواجهة الحقيقة: الطبيب أخبرنا أن إصابتي ليست عضوية، لذلك علي أن أزور طبيبا نفسيا.. لن أخسر شيئا إن فعلت"[1].

تعرف خالد محفوظ على ذاته الحقيقية فتغيرت نظرته القديمة نحو ذاته وللحياة، وتبدل تفكيره السلبي بتفكير إيجابي، وهذا ما انعكس بشكل جلي وواضح في أفكاره وتصرفاته. نقطة التحول في حياته "الانتحار" جعلته يدرك معنى الحياة، وقد أصبح راض بالحالة التي هو فيها وقرر زيارة الطبيب النفسي. وبما أن للأفكار تأثير كبير على حياة الإنسان، فإن تغييره للأفكار السلبية بأفكار إيجابية قاده نحو معجزة: استعادة بصره!

يروي خالد محفوظ الطريقة التي استعاد بها بصره فجأة، يقول: "وضعت الأطباق في حوض الغسيل، ثم عدت أدراجي بحذر، ودخلت الحمام لأغسل يدي، بينما عقلي يعد بشكل تلقائي الخطوات التي أقطعها.
وعندما سقطت الصابونة من بين يدي، وانحنيت على الأرض أبحث عنها؛ كان الملف الذي استمع إليه قد انتهى، فساد الصمت فجأة، وسمعت صوت خطوات تسير أمام باب الحمام.
فزعت وانتظرت واقفا فتفجر الألم في رأسي ثم لم أشعر بشيء"[2].

بعد هذه الحادثة استيقظ خالد محفوظ وقد عاد إليه بصره. وأما تفسير ذلك فكان كالتالي:

يقول: "قال الدكتور أنور وهو يفرد الأشعة السوداء أمامي مشيرا إلى خلفية الجمجمة: كما قلت لك من قبل، إصابتك لم تكن عضوية، مركز الإبصار سليم، لا الضربة الأولى ولا الثانية سببت له أي ضرر!. / أما الطبيب النفسي فقال: كان لديك استعداد نفسي لعودة الرؤية، فقام عقلك الباطن بأخذ الضربة الثانية كمبرر لعودتها!"[3].

فقدان خالد محفوظ لبصره ثم استعادته فيما بعد كان نتيجة لتأثير أفكاره؛ فعندما كانت تسيطر عليه أناه "الإيجو" وكان يعيش دور الضحية أراد الاستمرار في عيش هذا الدور لأطول مدة، ولذلك كانت الضربة الأولى التي تلقاها من سائق الميكروباص جعلته يفقد بصره، ثم عندما تخلى عن أفكاره السوداوية وانزاحت ذاته المزيفة وأراد أن يعيش كشخص مسئول عن حياته استعاد بصره.

[1] الرواية، م.س، ص 179.
[2] المرجع نفسه، ص 180.
[3] المرجع نفسه، ص 184.

أقبل خالد محفوظ على الحياة يتمتع بما تجود به بعدما استعاد بصره، لم تعد هي نفسها تلك الحياة التي يمقتها ويعتقد أنها غير عادلة معه وعادلة مع البعض الآخر. يقول: "ما أروع العالم، ما أروع الحياة، ما أروع المرئيات، ما أروع الألوان"[1]. لقد أصبح يبدو أنه يتذوق جمال الحياة للمرة الأولى في حياته ذلك أنه لم يكن يدرك جمالها وكان يركز على كل ما يعكر صفو الحياة.

بعد أن أدرك روعة الحياة تفطن إلى أنه لم يكن يعاني إلا ليشعر بحلاوة الحياة، يقول: "لو أنني فقدت بصري طوال الشهور الماضية فقط كي أشعر بكل هذه المتعة والنشوة حينما أستعيده فأنا لم أخسر شيئا!."[2].

رضا خالد محفوظ بحياته وتغييره لنفسه، ولأفكاره، وتقديره لمعنى الحياة. كل ذلك قاده إلى كتاب سوف يقربه من ذاته الحقيقية أكثر، ويجعله يتدبر في حاله، وهذا الكتاب هو كتاب "الحكم العطائية" للشيخ متعب غريب جد ليلى. وجميع الحكم التي قرأها خالد محفوظ وعرف معناها كلها كانت تدعو إلى التوكل على الله والثقة بالله وتحمل معنى الرضا. وغيرها من الحكم العظيمة التي تنير عقول كل من يقرأها.

قرأها خالد محفوظ بعض الحكم التي تبدو كأنها كتبت خصيصا له، خاصة تلك التي فتح الكتاب عليها بطريقة عشوائية ودون ترتيب، وكأن القدر هو الذي أراده أن يفتح على تلك الصفحات بالذات؛ لأن إرادته توافق إرادة الله. هذا الكتاب أنار عقل خالد محفوظ، يقول: "ربما أنا لم التق بليلى، لم أتزوجها وأعش معها طوال ست سنوات سوى لهذا السبب. لقد ظهرت في طريقي فقط لتهديني هذا الكتاب في عيد ميلادي لأقرأه ذات يوم وأجد بعض الإجابات"[3].

قرأ خالد محفوظ كتاب "الحكم العطائية" عدة مرات وحاول فهمه، قرأ أيضا كتاب "معاناة الرسول الخاتم" للدكتور خيري عبد الحق. ثم ذهب إلى أمريكا وحضر محاضرة للدكتور واين داير وسمع قصة أماكلي أدرك أن معاناته صغيرة مقارنة بالمعاناة التي تعرضت هي إليها؛ لقد تخلى عن تلك الأفكار السوداوية والدرامية عن كون الحياة قد ظلمته وأنها غير عادلة. يقول: "ما فعلته ليلى معي، وما فعلته معها. كل ما أظن أني تعرضت له من ظلم في حياتي، تأخر شهرتي، فقداني لبصري، كل هذا لا شيء أمام ما تعرضت له هذه الفتاة خلال ثلاثة شهور"[4].

[1] الرواية، م.س، ص 186.
[2] المرجع نفسه، ص 187.
[3] المرجع نفسه، ص 195.
[4] المرجع نفسه، ص 209.

بعد أن وصل خالد محفوظ إلى هذه النقطة أدرك أن فكرته عن صديقه سمير خليل وزوجته ليلى لم تكن جيدة وعرف خطأه، يقول: "سمير العزيز، كان رفيق طموحاتي في الجامعة، وحينما وصل هو وتأخرت أنا إذا بي أنقلب عليه. بدلا من أن أفرح له وأدعمه وأطلب منه أن يساعدني لنصل سويا، إذا بي أحقد عليه وأكرهه وأتهمه بالفشل. كان هو الوحيد الذي اهتم بحضور حفل توقيعي، لكني لم أشكره، بعدها بساعات اتهمت زوجتي بتفضيله علي"[1].

حاول خالد محفوظ مسامحة صديقه سمير وزوجته ليلى فقرر حضور حفل زفافهما، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك، لم يستطع أن يقابلهما بزيف ويدعي مساحته لهما وحبهما، ولم يرد أن يخدع نفسه أيضا، يقول: "لكني لست كذلك حقا. لن أكذب عليهما ولن أكذب على نفسي. / تراجعت وأغلقت باب القاعة وعدت إلى عماد وأنا أغمغم بحرارة: أعنّي يا رب على تجاوز ما بداخلي من غضب!."[2].

هذه المرة لم يحاول خالد محفوظ خداع أحد وخاصة نفسه لأنه لم يرد أن يعيش في وهم التسامح الذي ظن أنه قد وصل إليه بعد سماع حكاية أماكلي وما وصلت إليه من سمو روحي بعد مسامحتها لأعدائها.

بعد عودة خالد محفوظ إلى مصر حاول أن يشعر بالسلام الداخلي الدائم لذلك سافر إلى مكة لأداء العمرة؛ إنها المكان المناسب الذي يمكن لأي إنسان أن يشعر فيه بالسلام والطمأنينة.

بدأت رحلة خالد محفوظ نحو السلام الداخلي الدائم من مكة عند التقائه بالمعلم الذي سوف يرشده إلى الطريق الذي سوف يحقق له الوصول إلى هذا السلام. وقد اشتغل خالد محفوظ على فكره حيث تخلص من الأعباء التي كانت تثقل كاهله، وعندما انسجم مع فكره فإن علاقته مع ذاته تحسنت كثيرا، وقد تجلى هذا الأثر بشكل واضح في حياته.

يواجه خالد محفوظ ولأول مرة في حياته نفسه، وما يترتب عن هذه المواجهة هو تقبل ذاته واحترامها، يقول خالد محفوظ: "في اليوم الخامس كانت لدي لهفة لمطالعة وجهي، استيقظت فأسرعت إلى المرآة الصغيرة وأخذت أرمقني باهتمام، أنا لست سيئا كما كنت أظن. وجودي في هذا المكان بعيدا عن أهلي ووطني، سعيي لإيجاد نفسي، محاولتي الترقي، دموع عيني، هذا دليل على أنني لا بأس بي بداخلي بذرة طيبة علي رعايتها والاهتمام بها"[3].

[1] الرواية، م.س، ص 211.
[2] المرجع نفسه، ص 215.
[3] المرجع نفسه، ص 260.

أصبح خالد محفوظ يركز على ذاته ولم يعد يهملها، وقد حاول السيطرة على أفكاره، يقول: "مع الوقت لاحظت زيادة تركيزي، أصبح بإمكاني الإحساس بكل ما يمر بي، لم أعد أنتبه فجأة إلى أنني كنت غائبا طوال الساعة الماضية في مكان ما، في زمان ما، دون أن أشعر بما يحدث حولي[1]" لقد أصبح يعيش حالة من إدراك الذات والوجود معا.

تغيرت علاقة خالد محفوظ مع ذاته وأصبحت واضحة، وأصبح مسلما لله، يقول: "ظللت شهرا كاملا لا أفعل شيئا سوى الاختلاء بنفسي والشعور بالتسليم الكامل لله، انزوت نفسي ورغباتي، اضمحلت إرادتي ولم تعد هناك سوى إرادته تحركني كيف شاء"[2]. في هذه المرحلة لم يعد خالد محفوظ يشعر بالقلق وأعباء الحياة، لقد تصالح مع ذاته ومع الوجود.

اهتمام خالد محفوظ بنفسه وتفكيره الجيد نحوها انعكس في نظرته للآخرين أيضا. لم يعد أنانيا كما كان في الماضي يفكر في نفسه فقط، فقد أصبح يفكر في الآخرين ويهتم بهم. يقول: "داومت على الاتصال بخالتي كل عدة أسابيع لأطمئنها على نفسي. كنت قد أخبرتها أن أصدقائي وجدوا لي عملا وأنني سعيد ومرتاح، فكانت تتمنى لي التوفيق"[3]. حاول طمأنينة خالته على حاله حتى لا تقلق عليه.

كانت علاقة خالد مع الآخر مشوشة ويملأها الغضب في كثير من الأحيان، كان يغضب من زوجته ليلى عندما تبدي آراءها نحوه ولا يتقبلها، ولكنه أصبح يطلب آراء الآخرين ويتقبلها؛ فعندما طلب من أمل أن تعطيه رأيها في روايته الجديدة المستوحاة من حياته خافت أن تصدر عليه أحكاما، وفي العادة كان ليغضب بشدة ولو من تعليق بسيط ولكن هذه المرة لم يفعل: "ابتسم بتفهم وقال لي: لا تخشي شيئا، لن أتضايق حتى لو انتقدت حياتي.! / رمقته مذهولة: كيف عرفت؟!. / رمقني بابتسامة مبتهجة ولم يرد على سؤالي"[4].

يمكن رؤية التغيير الكبير الذي حدث لخالد محفوظ حيث أصبح لا يطلق أحكاما على الناس من مظهرهم فقط، يقول: "الروائح السيئة تنبعث فقط ممن ملئوا قلبوهم بالكراهية.. ربما كراهيتهم هذه هي الشيء الوحيد الذي يستحق أن يغرق!"[5]. لم يعد يشمئز من روائح أطفال الشوارع، بل إنه لم يعد يهتم لمظهر الناس ككل، إنه فقط يتمنى أن تزال الكراهية من قلبوهم.

[1] الرواية، م.س، ص 252.
[2] المرجع نفسه، ص 269.
[3] المرجع نفسه، ص 294.
[4] المرجع نفسه، ص 312.
[5] المرجع نفسه، ص 336.

عندما التقى خالد محفوظ مع صديقه سمير خليل لم يعد يفكر فيه على أنه منافسه الذي يجب أن يتغلب عليه، ولأول مرة في حياته طلب المساعدة من صديقه سمير في نشر كتابه، يقول له: "اسمع، هناك شيء آخر أود أن تساعدني فيه.. هناك رواية أكتبها منذ فترة وأوشكت على الانتهاء منها.. كنت أسميها في البداية "عدم" لكني بعد عودتي من السعودية أسميتها "بصيرة".. أود منك أن تساعدني في نشرها وتسويتها، أنت صديقي وأنا بحاجة إليك!."[1] إنه طلب غير متوقع من خالد محفوظ! لقد تخلى عن غروره وكبريائه وطلب مساعدته، وأصبحت نظرته نحو صديقه نظرة محبة ولم يعامله بلؤم كما كان في السابق.

2- أثر الكينونة الشعورية الجديدة:

غمرت خالد محفوظ مشاعر السكينة بعد محاولته الانتحار، وبعد أن غير من تفكيره تغيرت مشاعره أيضا، يقول: "انتابتني حالة غير مفهومة من الاستسلام واللامبالاة، لم يعد لدي شيء لأخسره، فشلت في الكتابة، لا عمل لدي، صرت لا أرى، زوجتي خانتني ثم تركتني، اقتربت من الموت ولم أمت. كل هذا جعلني أشعر أنني خفيف الوزن، حر، ليس لدي ما أقلق تجاهه. وبدهشة بالغة أخذت أرقب حالة السكينة التي غزتني رويدا رويدا"[2].

وصل خالد محفوظ إلى المرحلة التي لم يعد يوجد في حياته ما يقلق بشأنه جعله يعيش حالة من السلام، يقول: "كنت أرقد في سريري في بيت خالتي، أرمق الظلام حولي في جميع الاتجاهات، شاعرا أن العالم لم يعد مشكلتي بعد الآن، ليس هناك شيء بحاجة للقلق من أجله، ليس هناك شيء أنتظر وقوعه. لم أشعر من قبل بسلام نفسي كالذي شعرت به في تلك الفترة"[3]. وأخيرا أحس بالمشاعر الإيجابية تغمره!

رغم أن خالد محفوظ حاول العيش بأكبر قدر من المشاعر الإيجابية إلا أنه لم يستطع أن يتجاوز مشاعر الألم الذي يصاحب الطلاق. يقول: "وعندما هم الرجل بالرحيل مع المأذون فوجئت بنفسي أقول له بصوت حاولت جعله ودودا قدر الإمكان: انقل تحياتي لليلى يا سيدي، وتمنياتي لها بالتوفيق في حياتها. / ولم تفلح الأيام التالية في نزع المرارة من حلقي"[4].

شعر خالد محفوظ بمزيج من الذنب والامتنان اتجاه الأصدقاء الذين تعرف عليهم في غرفة الدردشة. يقول: "شعرت بالذنب تجاه هؤلاء الأصدقاء، لقد استغللتهم وأثرت اهتمامهم بشكل فج. غمرتهم في مستنقع ولعي برثاء الذات، وكان علي إصلاح هذا الخطأ"[5].

---

[1] الرواية، م.س، ص 341.
[2] المرجع نفسه، ص 164.
[3] المرجع نفسه، ص 164.
[4] المرجع نفسه، ص 177_178.
[5] المرجع نفسه، ص 178.

أرسل لهم رسالة بعد عدة شهور فحواها: "شاكر وممتن لاهتمامك يا عزيزتي.. هناك خبر مفرح أتمنى أن يسعدكم كما أسعدني: لقد استعدت بصري بعد عملية جراحية ناجحة، وأنا الآن بخير ولله الحمد.. هناك مشاكل عويصة في اتصالي بالأنترنت لذلك لا أستطيع الدخول بشكل منتظم، فاعذروني على انقطاعي الدائم.. طمئني جميع الأصدقاء، وكونوا بكل خير"[1] هذه الرسالة تحمل معنى الامتنان والسعادة التي حصل عليها وكذلك تمنياته الخير لهؤلاء الأصدقاء.

بعد استعادة خالد محفوظ لبصره غمرته السعادة والامتنان وشعر بروعة الحياة، وحمل في داخله مشاعر المحبة للناس، يقول: "يأتي الليل فأغادر البيت وأنطلق في الطرقات بلا وجهة. يندهش الناس حينما يرونني أرمقهم بسعادة وشغف وأنا أمر بهم، رمقتني فتاة بغضب حينما وجدتني أرمق ملامحها بهيام، فأدرت وجهي للجهة الأخرى. لا أحاول مضايقتك يا آنستي، أنا فقط أفتقد جمال الوجوه البشرية."[2] لقد حمل مشاعر الطيبة لكل الناس الذين صادفهم بعد استعادته لبصره.

عند مصادفة خالد محفوظ لكتاب "الحكم العطائية" شعر بالطمأنينة تغمره لأنه فهم مقاصد الشيخ، يقول: "انهمكت في قراءة شرح الشيخ متعب للحكم العطائية، ومع كل حكمة أقرؤها كنت أشعر بروحي تصعد درجة، أصبح الكتاب لا يفارقني ليلا ولا نهارا، أنهيته بعد عدة أيام ثم بدأت في إعادة قراءته. كنت أقرأ شرح الحكمة الوأحدة عدة مرات مستلذا بالمعاني التي تتدفق إلى روحي في كل مرة"[3]. لقد حمل الكتاب مشاعر الراحة والطمأنينة التي انتقلت إلى خالد لأنه كان على استعداد لتلقيها.

استمع خالد محفوظ لقصة أماكلي وتأثر بها كثيرا، يقول: "كان كثير من الجمهور حولي قد بدئوا في البكاء، كنت أنا نفسي أبكي بحرقة. في البداية حاولت منع دموعي حرجا من أن يراني الآخرون، لكني اكتشفت أننا جميعا كنا نخوض تجربة روحية غير عادية، كانت جارتي تبكي بصمت وهي تغمغم: أوه يا فتاتي!"[4]. لقد تعاطف خالد محفوظ مع أماكلي وقصتها المؤثرة وبكى لما حدث معها هو وباقي الجمهور المستمع.

[1] الرواية، م.س، ص 178.
[2] المرجع نفسه، ص 186.
[3] المرجع نفسه، ص 197.
[4] المرجع نفسه، ص 207.

تحمل قصة أماكلي معنى مسامحة الناس الذين يسيؤن إلينا جعلت خالد محفوظ يرغب في أن يكون مثلها: "شعرت أني أريد أن أكون هكذا، أريد أن أكون كأمكلي، أن أكون كالرسول عليه الصلاة والسلام. كان هناك تغير غير مفهوم في داخلي، وجدت نفسي أشعر بصفاء غريب، أشعر بالود والتفاهم تجاه جميع الناس. شعرت أن بإمكاني أن أسامح كل الناس. أسامح الحياة، أسامح نفسي، أسامح ليلى وأسامح سمير. فتشت في داخلي فلم أجد ذرة من الغضب"[1]. عاش خالد محفوظ في هذه اللحظات معنى التسامح الذي انعكس عليه بالإيجاب فشعر بالصفاء والود في داخله.

اعتقد خالد محفوظ أنه وصل أخيرا إلى شعور الود والتسامح ولكنه لم يدم طويلا، لأنه عندما واجه الواقع لم يستطع مسامحة زوجته ليلى وصديقه سمير. فبعد طلاقه من ليلى شعر بالمرارة والألم. يقول: "آلمني أن أكتشف أنني لست كأماكلي، لست الروح المتسامحة غير الفانية التي ظننتني قد أصبحتها. بإمكاني التقدم منهما الآن، بإمكاني أن أرسم على وجهي ابتسامة مفتعلة وأهنئهما بحرارة وأتظاهر بأني أحبهما وسعيد لساعدتهما"[2].

رغم شعور خالد محفوظ بالمرارة والألم؛ أي أنه لم يصل بعد إلى المرحلة التي يتغلب فيها على جميع المشاعر السلبية إلا أنه قد قطع شوطا كبيرا في تغيير ذاته، لقد تعلم الكثير وحاول جاهدا أن يصل إلى السلام الداخلي رغم أنه لم يصل إليه بعد. ولكن ما حدث له بعد تقبل واقعه وما مر به فيما بعد كان البداية فقط للطريق الذي أراد من خلاله الوصول إلى السلام الداخلي.

عاش خالد محفوظ عدة مشاعر إيجابية بعد محاولته الانتحار وخاصة عند ذهابه إلى محاضرة الدكتور واين داير وسماعه لقصة أماكلي المؤثرة، لقد عاش تجربة روحية مميزة أثناء ذلك، ولكن الشعور بالسلام الداخلي الذي أحس به لم يستمر طويلا. لقد أراد أن يكون في سلام طيلة الوقت، ولأنه كان مستعدا لأن يعيش فيه فقد أصبح يحس به في أوقات كثيرة خاصة في مكة، يقول: "كان السلام يغمرني منذ خطوت داخل الحرم، وحين رأيت هذا العجوز شعرت براحة شديدة، رددت عليه بود أنها فعلا زيارتي الأولى للحرم"[3].

غمرت التقوى خالد محفوظ تأديته للصلاة في الحرم، واقترب من ذاته وأحس بعظمة الله، يقول: "نظرت أمامي في خشوع وتمثل في ذهني أني أقف الآن أمام الله، طوال حياتي كانت فكرة أنني أقف أمام الله في صلاتي كبيرة على استيعابي. لم أستطع يوما تخيل أن الله بكل عظمته وجلاله سيأتي ليقف أمامي أنا الإنسان الضئيل، لكني في تلك اللحظة أدركت أني أنا من أذهب إليه، أني الآن خارج نطاق الزمان والمكان. شعرت بقلبي يرق ويخشع، وبنفسي تبكي أمام كل هذه العظمة"[4]. الشعور بالخشوع وعظمة الله عز وجل.

[1] الرواية، م.س، ص 210.
[2] المرجع نفسه، ص 210.
[3] المرجع نفسه، ص 217.
[4] المرجع نفسه، ص 219.

شعرت ذات خالد محفوظ بعد الصلاة بالطمأنينة والأمان، يقول: "انتهت الصلاة، فجلست في مكاني شاعر بالسعادة والطمأنينة. شعرت أن الملائكة من حولي يحيطون بي ويظللونني بأجنحتهم، أن كل شيء يتحرك ببطء وتؤدة الطمأنينة والأمان، أن لا شيء قاظ على إيذائي أو النيل مني، مهما حدث فأنا آمن. وددت لو تستمر هذه اللحظة إلى الأبد"[1]. لقد أصبح خالد محفوظ يشعر بالسلام الداخلي وهذا ما جعله يتبع المعلم ليرشده إلى كيفية الحصول على هذا السلام الداخلي الدائم.

أحس خالد محفوظ بعدة مشاعر إيجابية مثل "التواضع" يقول: "أشعر بالتواضع.. بأنني قوي ودائم ولا نهائي، ومع ذلك لا يوجد بداخلي أي زهو أو كبر.. أشعر أنني لست مرتبطا بأي شيء، لست أحتاج إلى أي شيء لأشعر بالكمال، أنا مكتمل بذاتي"[2]. لقد أصبحت مشاعره صافية لا يعكرها زهو ولا كبر ولا أي مشاعر سلبية أخرى.

حدثت لخالد محفوظ الكثير من التغييرات التي أضحت واضحة للناس، بل تسبب الدهشة لهم أيضا؛ لأنه يشارك مشاعره مع الناس دون تزييف. لقد أصبح يعيش ذاته الحقيقية التي تخلت عن الزيف والأوهام، تقول أمل: "أخذ يضحك بلا تحفظ بطريقة أدهشني. يرجع رأسه للخلف مغمض العينين ويترك لنفسه العنان في الضحك. عادة، الكبار الناضجون يتحكمون في أنفسهم عند الضحك، لكنه كان يضحك بتلقائية الأطفال!"[3].

أصبح خالد محفوظ يحس بمشاعر المحبة اتجاه الناس ويبادلهم مشاعرهم أيضا، وهذا تغيير كبير حدث له بعد أن كان لا يشعر سوى بالمشاعر السلبية اتجاه الناس، يقول: "شعرت براحة كبيرة نحوه، أطربني استقباله الحفي بنا. لم ينهض إلينا ولم يصافحنا بحرارة، فقط أخذ يرمقنا بحب عميق ووجهه كله يضحك لنا. وكأننا أقارب أعزاء لم يرنا منذ سنين.

لم تكن ملامحه تحمل شيئا من المجاملة، كان ترحيبه السعيد بنا حقيقيا غير مفتعل. في حضرته شعرت بالبهجة تغمرني، وتوقعت أن بعد لقائي به لن تعود الأمور كما كانت من قبل"[4]. تغيرت علاقة خالد محفوظ مع الآخرين حيث أصبح يتقبل المشاعر التي يرسلونها له ويشعر بها ثم يرد عليهم بمثل هذه المشاعر الطيبة. وتأثير ذلك أصبح واضحا من خلال سلوكه مع الآخرين.

---

[1] الرواية، م.س، ص 220.
[2] المرجع نفسه، ص 276.
[3] المرجع نفسه، ص 311.
[4] المرجع نفسه، ص 233.

تغيرت نظرة ومشاعر خالد محفوظ للناس، فبعد أن كان يعيش في حالة انفصال فإنه أصبح في حالة اتصال مع الآخرين، يقول: "وجدتني أذوب حبا في الجميع، أشعر بصلة كبرى بيننا، لم يعودوا أغرابا لا أعرفهم، أصبحوا قريبين مني، أبتهل إلى الله في سري أن يوفقهم جميعا ويعيدهم إلى بلادهم سعداء سالمين"[1].

يعيش خالد محفوظ المشاعر الإيجابية بشكل دائم منذ رجوعه من مكة أصبحت تغمر كل من يلتقيه، فعندما شب شجار بين الجارين حاول إنهاءه، تقول أمل: "ظهر خالد واقترب من الرجلين مبتسما، فالتفتا إليه بتوجس دونا عن جميع من يحيطون بهما، وكأنهما أدركا أنهما على وشك شهود لحظة غير عادية. مد ذراعيه نحوهما بكل هدوء واحتضنهما معا. توقفت الأصوات وساد الهدوء أمام هذا المشهد الغريب"[2]. والغريب أن ما حدث بعد ذلك هو انتهاء العراك وذهاب كل وأحد منهما في طريقه.

بعد عودة خالد محفوظ من مكة التقى سائق الميكروباص الذي كان السبب في فقدانه لبصره، في البداية كان يستقل سيارات الأجرة حتى لا يلتقي به لأنه كان يخاف من أن يجد نفسه مازلت تحمل بعض الغضب اتجاهه، ولكن ذات مرة التقى به بالصدفة فركب معه وسمع قصته المؤثرة من امرأة تعرفه، وحينها أدرك مدى صعوبة الظروف التي كان يعيش فيها هذا الرجل، وعندما سأله هذا الأخير أن يسامحه في نصف جنيه لأنه ليس معه فكة، قال خالد محفوظ: "توقفت في مكاني، شعرت برغبة في البكاء. فوجئ بي أضع يدي على كتفه وأقول له مبتسما والدموع تترقرق في عيني: بل سامحني أنت!"[3]. لم يعد خالد محفوظ يشعر بأي بغضاء تجاه الرجل بل طلب منه مسامحته لأنه هو أيضا أخطأ في حق الرجل.

التقى كل من ليلى وزوجها سمير خليل ذات يوم مع خالد محفوظ في مطعم، لاحظ الزوجان التغيير الكبير الذي حدث له، تقول ليلى: "التفت إلى حيث ينظر فإذا بخالد يسير في الشارع على بعد أمتار من مجلسنا، كان هناك شيء غريب فيه. كان يرمق الناس الذين يمرون حوله باهتمام وعلى وجهه ابتسامة.

وقف أمام الصبيين المتعاركين وأخذ يتحدث إليهما مبتسما. توقف الصبيان عن العراك وأخذا يبادلنه الحديث. كان يرمقانه بتردد وشك في البداية، ثم لم تلبث أن ارتفعت ضحكاتهما. هل يعرفهما؟"[4].

[1] الرواية، م.س، ص 266.
[2] المرجع نفسه، ص 267.
[3] المرجع نفسه، ص 327.
[4] المرجع نفسه، ص 332.

ليس هذا فحسب، ففي العادة خالد محفوظ كان ليشمئز من هؤلاء الأطفال _كما حدث في حفل توقيعه_ ولكنه هذه المرة لم يفعل، تقول ليلى: "لم يهتم خالد بقذارة ملابسهما ولا بالتراب المتجمد فوق وجهيهما وشعريهما، احتضنهما بقوة وأغمض عينيه بحب وكأنه يعرفهما منذ فترة طويلة"[1]. مشاعر المحبة التي غمرت خالد محفوظ حقيقية ذلك أنه لم يتصرف بلؤم معا لأطفال، ولم يصطنع محبتهما، وقد أخذهما إلى المطعم لتناول الطعام.

تغيرت مشاعر خالد محفوظ اتجاه كل من ليلى وسمير، لقد كان في الماضي لا يحبهما كما فعل الآن، وكان غاضب منهما ولكنه سامحهما، تقول ليلى: "لم تكن جرأته هي ما أثارت استغرابي. ما أثار استغرابي فعلا أنه كان يفعل كل هذا، يرانا ويتكلم ويضحك، ويجلس إلى طاولتنا، بمنتهى العفوية. لم أشعر فيه بأي قدر من الافتعال، لم أجد لديه أي قدر من المشاعر المكتومة أو المخفية"[2]. ذلك أن خالد محفوظ كان يشاركهما مشاعره الحقيقية دون تكلف.

[1] الرواية، م.س، ص 332.
[2] المرجع نفسه، ص 336.

المبحث الثاني: استراتيجية الذات لبناء الكينونة:

التقى خالد محفوظ بالمعلم عند ذهابه إلى مكة لأداء العمرة؛ وقد أرشده المعلم إلى الطرق التي تساعده على إيجاد ذاته الحقيقة والوصول إلى السلام الداخلي الدائم. لقد سخر المعلم لإرشاد خالد محفوظ فقد أتته رؤية في منامه وكان خالد هو الشخص الذي رآه؛ وعندما وصل إلى مكة تعرف عليه أثناء تأديته للعمرة.

المعلم شخص ذو معرفة واسعة، ليس له اسم لأنه يعتبر إن الأسماء غير مهمة هي فقط لتميز الناس، وأثناء الفترة التي كان فيها خالد محفوظ تلميذ لشيخ لم يعرف اسمه ولا إي شيء عنه، لقد كان شخصا غامضا أدى المهمة التي أوكلت إليه -مهمة إرشاد خالد محفوظ- ثم غادر عند انتهاء المهمة دون وداع. لقد أرشد المعلم خالد محفوظ إلى السبيل التي تقوده لمعرفة ذاته ومعرفة الوجود، قاده نحو الحقيقة التي يغفل عنها معظم الناس، وقد أعطى المعلم خالد محفوظ مجموعة من التمارين التي يجب عليه القيام بها ومعرفة المغزى منها وهذه التمارين هي:

1- التأمل واتحاد الذات بالكل:

يستطيع الشخص الذي يمارس التأمل أن ينتقي الأفكار المناسبة؛ إنه يتعرف على ما يدور داخله أولا ثم يقوم باستخراج تراكمات السنين التي تثقل الذات، ولذلك ينصح خبراء التنمية البشرية المقبلين على هذه العملية بالطريقة الصحيحة لفعل ذلك، يقول واين داير: "فكر بنفسك بصفة مراقب يتأمل وينتقى الأفكار التي تختارها من ذلك السيل الذى لا ينتهى من الأفكار التي تجرى على شاشتك الداخلية على مدار اليوم، الأسبوع، السنة. راقب الأفكار وهي تتدفق أن كان المكان الذي تنشأ منه، ولاحظ سرعة انتقالها وتجمعها وظهورها واختفائها"[1].

يختار عادة خبراء التنمية البشرية صيغة المخاطب في كتاباتهم لتكون ذات تأثير أكبر على المتلقي، ويشعر القارئ أنه معني بما يقوله، وما يقصد به في هذا الكلام هو أن يكون الشخص في مكان المراقب أولا، ثم المتأمل ثانيا.

قدم المعلم لخالد محفوظ التمرين الأول وهو مراقبة الحمام فقط والتركيز عليه فقط وكل ما عليه فعله هو أن يركز على تنفسه حتى يتخلص من ضوضاء العقل، وهي الأفكار التي تمنع الإنسان من الوصول إلى أعماقه، ولذلك قضى خالد محفوظ سبعة شهور في مراقبة الحمام.

يصف خالد محفوظ الوضع الذي كان فيه أثناء مراقبته الحمام، يقول: "كانت الأفكار والخواطر تتصارع في ذهني دون أن املك التحكم فيها، تأخذني إلى الماضي والمستقبل، إلى ذكريات حزينة أو مفرحة [...] وأفقد انتباهي بعض الوقت بينما تيار الأفكار يتصارع في ذهني.[2]" وهذه الضوضاء هي تمنع الشخص من الوصول إلى

[1] واين داير: رغبات محققة، م.س، ص 60.
[2] الرواية، م.س، ص 250-251.

السلام الداخلي، في أيامه الأولى كان يشعر خالد محفوظ بالملل والضيق، يمر الوقت عليه ثقيلا، ثم مع التدريب المتواصل تغلب عليه يقول: "ومع الوقت انساب شعور بالبهجة داخل نفسي، بدأت اشعر بالأمان والسعادة بلا سبب.. فيما بعد أخبرني المعلم أنني كنت استشعر للمرة الأولى شعور الحضور في اللحظة، التخلص من أعباء الماضي ومخاوف المستقبل"[1]. يوجد قلة قليلة من الناس اللذين يعيشون اللحظة، فغالبا ما يعيشون في الماضي أو المستقبل.

إن الأنا أو "الإيجو" هو ما يمنع الفرد من عيش اللحظة فعند "(الأنا)، اللحظة الحاضرة نادا ما تبقى، فقط الماضي والمستقبل يعتبران مهمان. هذا الانقلاب الإجمالي للحقيقة يعتمد على أن في أسلوب (الأنا) يكون العقل في حالة اختلال وظيفي. يهتم دوما ببقاء الماضي حيا، ومن دونه من أنت؟ [...] حتى وإن بدا (الأنا) مهتما بالحاضر، فإنه ليس الحاضر الذي يراه: إنه لا يدركه بالكامل ولأنه ينظر إليه من خلال عينيه كماضي. أو قد يصير الحاضر وسيلة للنهاية، تلك النهاية الجاثمة دائما في مخيلة عقل المستقبل"[2].

للآنا قوة كبيرة على صحة الإنسان النفسية، أنها تخلصه من أعباء الماضي ومخاوف المستقبل، لذلك فإن التأمل يساعد على إنشاء علاقة مع الأنا، فـ "التأمل ليس تركيزا، انه استرخاء، بكل بساطة انه استرخاء الجسد والروح. وكلما استرخيت كلما شعرت أنك منفتح على العالم، أنك أقل صمودا وأكثر مرونة، وفجأة تشعر أن الوجود بدا يخترق ذاتك، يتغلغل في داخلك"[3]. ولأن التأمل يعزز علاقة الفرد بالوجود فإن التمرين الذي قدمه المعلم لخالد محفوظ كان تمرين تأمل الأشجار هو العطاء، ولكن للأشجار فائدة أعظم من ذلك، فحين "يستوطن التأمل في ذاتك، وتصبح متناغما مع الوجود، ستشعر، كنتيجة لهذا الاستيطان وذلك التناغم، بروح المحبة، بالحنان ستشعر أنك وصلت مرحلة العطاء والتسامح، وستشعر أيضا أنك تحب الكل دون استثناء، وإن الآخرين ما عادوا غرباء عنك، لأنك فيهم تحيا أيضا. والأشجار لم تعد مجرد تلك الأشجار، وأنها بشكل أو بآخر، ترتبط فيك. كل شيء يصبح مرتبط ببعضه البعض"[4]. وهذا ما حدث مع خالد محفوظ.

بعد تأمل خالد محفوظ للشجرة عرف معنى الإجابة التي طلبها منه المعلم، يقول: "... ومع استمرار تأملي للشجرة انتبهت إلى شيء.. النسيم يهب باستمرار على الشجرة فتظل واقفة في مكانها لا تتحرك، ربما تحرك أغصانها وأوراقها معه ثم بعد رحيله تعود إلى مكانها الأول.. لو هبت عاصفة قوية تتحرك الشجرة كلها مع هبات العاصفة، ثم بعد ذلك تعود لحالها الأول، إلى سكونها العميق وثبات جذورها في الأرض.."[5]. فالإجابة هي الكون والثبات التي تتمتع بهما الشجرة.

---

[1] الرواية، م.س، ص 252.

[2] إيكارت تول: أرض جديدة، م.س، ص 24.

[3] المرجع نفسه، ص 28.

[4] المرجع نفسه، ص 32.

[5] الرواية، م.ن، ص 288.

بعد أن عرف خالد محفوظ إجابة سؤال المعلم عن المعنى الذي وصل إليه من تأمل الشجرة حيث تنبه إلى سكونها وثباتها، فإنه يريد أن مثل الشجرة، يقول: "تمنيت أن أكون كالشجرة، هادئا ساكنا لا تهزني الخطوب التي تمر بي ومن حولي، قد أتحرك مؤقتا لكني أعود إليه بنفس الثبات والكون.. الشجرة هي النموذج الذي يرد بالإجابة على سؤال: هل بالإمكان أن نعيش طوال الوقت في سلام نفسي؟.. الشجرة تفعل ذلك!. في النهاية أجدني أرغب في أن أكون شجرة!."[1] ولكن قبل أن يصل خالد محفوظ إلى كيفية الحفاظ على السلام الداخلي فإنه قد مر بتمارين أخرى للتأمل، فالاندماج مع الوجود لا يتم دون الكثير من التمارين. ومن التمارين التي أعطاها المعلم لخالد محفوظ "تأمل الناس" يقول له: "راقبهم دون أن تصدر حكما أخلاقيا عليهم، لا تصنفهم باعتبار أن هؤلاء معي وهؤلاء ضدي، هؤلاء جيدون، أولئك سيئون، لا تنتقدهم بينك وبين نفسك، ارفض أفعالهم وتصرفاتهم لكن لا ترفضهم هم لأنفسهم.. أفعالهم وتصرفاتهم هي أشياء طارئة عليهم، تجئ وتذهب على حسب مرحلة وعيهم..."[2]. والهدف من هذا التمرين هو الشعور بالمحبة اتجاه الناس ومراقبتهم بحب وأن يرفض أفعالهم ولكن لا يرفضهم هم أنفسهم.

يسمح التأمل للفرد أن يحافظ على طاقته الداخلية فـ"بلا تأمل، تبقى الطاقة نوعا من العاطفة، ومن خلال التأمل تتحول هذه الطاقة إلى تسامح. إلى عطاء، العاطفة والعطاء ليسا طاقتين منفصلتين، بل طاقة وأحدة، حالما تغير مرحلة التأمل تتحول، تتخذ شكلا جديدا، وتظهر بنوع مختلف جدا عما كانت عليه"[3].

إن الدرس الذي تعلمه خالد محفوظ من تأمل الحمام والناس والشجر هو الانجذاب غير المشروط إلى الوجود أو ما يسمى بالعطاء. حيث أن "العطاء إحساس نابع من عمق الذات أنه انجذاب، ليس نحو إنسان معين، أنه مانح الشعور بالفرح، انجذابك نحو الأشجار قد يدخل السعادة إلى حياتك، أو نحو الطيور، أو نحو الحيوانات او نحو البشر... أنه الانجذاب غير المشروط. هكذا يكون العطاء، دون التفكير أو السؤال عما سنجنيه. العطاء هو التحرر من العمل الجسدي"[4]. تعلم خالد محفوظ من التأمل معنى الحب والتسليم والثبات والعطاء.

تقبل الذات تكون بمواجهة النفس وألاعيبها، ولذلك قدم المعلم لخالد محفوظ مرآة ليواجه بها نفسه. في البداية لم يستطع خالد محفوظ أن ينظر إلى نفسه في المرآة أكثر من ساعتين، ثم عندما بدأ في تأمل وجهه في المرآة قام بتوجيه كلام قاسي إلى نفسه، وحدثها بلؤم عن كل الأخطاء التي ارتكبها في الماضي. لكن المعلم نصحه ألا يحكم على نفسه بناء على ماضيه، لأن كل القرارات التي اتخذها في الماضي إنما سوف تزيد فقط من وعيه وخبرته، فالهدف من التمرين ليس محاول تغير مصيره، ولكن العبرة منه ماذا استفاد من تلك الخيارات التي قام بها.

[1] الرواية، م.س، ص 289.
[2] المرجع نفسه، ص 277.
[3] إيكارت تول: أرض جديدة، م.س، ص 21.
[4] المرجع نفسه، ص 15.

بذل خالد محفوظ في الأيام التالية الكثير من الجهد في النظر إلى المرآة وتقبل الذات، فأول خطوة نحو مواجهة الذات كان الشفقة على نفسه، يقول: "يا لك من صغير مسكين، وجدت نفسك في هذا العام فجأة ولم تدر كيف تتصرف، أخدت تتخبط وترمق ما حولك بذعر، حاولت وفشلت ولمت نفسك، شعرت بالتهديد فتصنعت القسوة، ظننت أن الآخرين سيتخلون عنك لو فشلت، فتركت كل شيء، وحاولت أن تنجح بأقصر طريق ممكن [...] كنت تريد الشهرة، أن يعرضك الناس و يعجبوا بك.. لأنهم إذا عرفوك وأعجبوا بك فسيحبوك، وحينها ستؤمن شرهم. [...]، لقد غلبك الخوف، فتعالى إلى حضني لأمنحك الدفء والأمان"[1]. لقد بدا خالد محفوظ يحترم نفسه في هذه المرحلة.

بعد خمسة أيام لم يعد خالد محفوظ يخشى رؤية وجهه في المرآة أو مواجهة ذاته، يقول: "في اليوم الخامس كانت لدي لهفة لمطالعة وجهي، استيقظت فأسرعت إلى المرآة الصغيرة وأخدت ارمقني باهتمام، أنا لست سيء كما كنت أظن. وجودي في هذا المكان بعيدا عن أهلي ووطني، سعى لإيجاد نفسي، محاولتي الترقي، دموع عيني، هذا دليل على أني لا بأس بي. بداخلي بذرة طيبة على رعايتها والاهتمام بها"[2]. لقد حل خالد محفوظ سوء الفهم الذي حدث بينه وبين نفسه، والهدف من تمرين المرآة هو الوصول إلى معنى "أنا هو أنا" والمقصود بذلك كما وضحه المعلم هو منح مشاعر الحب والاحترام تجاه النفس. وهذه هي الغاية التي وصل إليها خالد محفوظ بعد قيامه بهذا التمرين.

2- انحلال وهم الانفصال بين الذات والآخر:

إن التمرين الذي أعطاه المعلم لخالد محفوظ هو مراقبة الناس، ليس من أجل هدف عدم الحكم عليهم وإنما من أجل أن يتصل بهم؛ أي ليعيش في حالة اتصال دائم مع الناس ومع الوجود، ورفض مبدأ الانفصال، حيث أن: "الدفاع عن مبدأ الانفصال يمنحنا فرصة عظيمة لكي نمارس اللوم كوسيلة للحياة، عندما نؤمن ونعيش في ظل مبدأ وحدة الوجود، فإن اللوم يصبح من الأشياء المستحيلة [...] ولكن عندما يكون الانفصال هو الهدف، فإننا نميل إلى رؤية الآخرين على أنهم مسؤلون عن أوجه النقص في حياتنا مهما كان شكلها"[3].

[1] الرواية، م.س، ص 259-260.

[2] المرجع نفسه، ص 260.

[3] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 152.

عندما نعيش في حالة انفصال فإن ما يحدث هو في الحقيقة يكون عبارة عن حكم على الآخرين، ولفهم العلاقة بين عيش الشخص في حالة اتصال أو انفصال يجب أن يرجع إلى ذات الفرد، ومعنى ذلك: "أن التخلص من الحكم على الآخرين هو في الواقع تخلص من الحكم على نفسك، كما أن الحاجة إلى تصنيف الآخرين يعرفك أنت لا هم، وعندما تتوقف عن القيام بذلك؛ يكون قد سامحت نفسك عن أي جانب من نفسك تراه فيهم"[1]. النظرة التي ينظر بها الفرد إلى الآخرين هي نفس النظرة التي ينظر بها إلى نفسه. وتقيله للآخرين هو تقبل لذاته.

أراد المعلم أن يجعل خالد محفوظ شخص في حالة اتصال مع الوجود ومع الكائنات الحية، لأن للشخص المتصل ميزات كثيرة لا توجد في الشخص المنفصل حيث أن: "المتصل يقدر الحياة وكل ما فى هذا العالم. إن نفس الصلة التى تربط بالطبيعة هى التي يشعر بها حيال كل الكائنات؛ بما فى ذلك من عاش قبله وكل من لم يأت إلى هذا العالم بعد عنه يملك إدراك للتوحد ولذلك فإن لا يفرق بين شخص وآخر أو يشير إلى جماعة أخرى قائلا "هم". وإنما سوف يعبر عن البشر جميعا قائلا "نحن" إذا كان بوسعك أن تراقب عالمه الداخلي؛ فسوف تكتشف أنه يتألم لألم الآخرين"[2].

عندما بدأ خالد محفوظ تدريب الإتصال لرؤية الناس الآخرين في صورته كان صعبا في البداية، ثم بدأ يفلح في ذلك مع مرور الوقت، يقول: "في الأسبوع الرابع بدأت أتدرب على تخيل ملامحي على وجه جميع السائرين حولي مهما كان عددهم. "أنا" يسير بجواري بسرعة يدفع كرسيا متحركا عليه "أنا" عجوز، "أنا" يسعى بين الصفا والمروة ومعه "أنا" زوجته، و"أنا" وأولاده.. "أنا" و"أنا" و"أنا" يقفون صفوفا ليصلوا الظهر بجوار مقام سيدنا إبراهيم، "أنا" جالس تحت ظل عمود يأكل بعض التمر، "أنا" صغير يركض بسعادة ويحاول مطاردة الحمام. كلهم أنا متنكرين في أشكال مختلفة"[3]. فمبدأ الاتصال يعني أنا أنت، وهم نحن.

عيش الشخص في حالة اتصال يجعله يشعر بالمحبة، يقول خالد محفوظ: "وجدتني أذوب حبا في الجميع، اشعر بصلة كبرى بيننا، لم يعودا أغرابا لا اعرفهم، أصبحوا قريبين مني، ابتهل إلى الله في سري أن يوفقهم جميعا ويعيدهم إلى بلادهم سعداء سالمين"[4]. لقد عاش مبدأ الاتصال حتى أصبح من الصعب عليه أن يتعرف الآخرين، فحتى المعلم كاد لا يميزه.

---

[1] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 364.

[2] واين دبليو داير: قوة العزيمة– تعلم كيف تتحقق رغباتك بطريقة خاصة، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2008، ص 287.

[3] الرواية، م.س، ص 265.

[4] المرجع نفسه، ص 266.

العيش في حالة اتصال يجعل المتصل في حالة امتنان وتواضع وتوافق مع العالم ومع الكون، "ولذلك فإن المتصل لا يندهش أمام التزامن أو المصادفة على تحقيق ما هو عازم عليه. أنه يعرف في قلبه أن هذه الأشياء التي تبدو على أنها معجزات قد ظهرت في حياته بشكل فوري لأنه كان بالفعل متصلا بهذه الأشياء"[1]. وهذا ما حدث مع خالد محفوظ بعد عودته من مكة إلى مصر حيث وقعت له حوادث مثل المعجزات.

3- الذكر وسبيل فناء الأنا في الله:

أعطى المعلم لخالد محفوظ تمرين وهو ترديد عبارة "لا حولا ولا قوة إلا بالله" ويشرح المعلم معنى هذه العبارة لخالد بقوله: "هذه الجملة القصيرة تحوي سرا من أعظم أسرار الكون، بل ربما تكون السر الأعظم ذاته.. هذه الجملة يقر قائلها بأنه لا يملك شيئا من أمر نفسه، لا يستطيع التحول من حال الى حال، لا يملك القوة على فعل الأشياء، ينفي عن نفسه القدرة و الاستطاعة، ويستمدها من مصدر كل شيء.."[2]. هذه الجملة تعطي الشعور بالاستسلام التام لله تعالى.

ردد خالد محفوظ هذه العبارة حتى أحس بتأثيرها عليه، يقول: "ظللت شهرا كاملا لا افعل شيئا سوى الاختلاء بنفسي والشعور بالتسليم الكامل لله، انزوت نفسي ورغباتي، اضمحلت إرادتي ولم تعد هناك سوى إرادته تحركني كيف شاء"[3]. بعد هذا التمرين سلم خالد محفوظ نفسه للإرادة الله عز وجل.

عيش الشخص للموت وهو حي هو الفناء، حينها فقط سوف يشعر بالفناء، ونتيجة لذلك فإن "أنا" (الإيجو) هي التي تموت وتختفي، وما يحدث حقا هو أنه "حين لا يعود هناك ما يمكن التماهي معه، فمن تكون؟ حين تموت الأشكال المحيطة بك، أو حين يدنو الموت، فإن إحساسك بالكينونة، بذاتك، ينعتق من ارتباطه بالشكل: تتحرر الروح من أسر المادة. تدرك هويتك الجوهرية بوصفها عديمة الشكل، بوصفها "حضورا" عاما ومهيمنا، بكينونة تسبق كل الإشكال وكل التماهيات. تدرك هويتك الحقيقية أو الوعي ذاته، لا ما قد تماهى معه الوعي"[4]. مشاعر الفناء تتيح لشخص تجاوز العائق الأكبر في حياته: تجاوز الهوية المزيفة.

يشرح المعلم لخالد محفوظ معنى الذات الحقيقية والذات المزيفة، يقول خالد محفوظ: "وأطلق يشرح لي كيف إن المرء حيثما يصل للحظة الموت، نهاية تجربته كإنسان في هذه الحياة، يفيق من غفلته، وحينها ينفصل عن هويته المزيفة والروابط الوهمية التي ربطتها بينه وبين ممتلكاته وانجازاته وسمعته"[5].

---

[1] واين داير: قوة العزيمة، م.س، ص 288.

[2] المرجع نفسه، ص 268.

[3] المرجع نفسه، ص 269.

[4] إيكارت تول: أرض جديدة، م.س، ص 57.

[5] الرواية، م.س، ص 272.

شعر خالد محفوظ في اليوم الأول بالاختناق، وفي اليوم الثاني بدا في التفكير فماذا سوف يبقى منه إذا مات. أما في اليوم الثالث بدأت تقل رهبته من الموت، وفي اليوم الرابع شعر بأنه تخلص من وجوده المادي؛ وشعر بأنه صار كيانا وأحدا مع ما حوله، وما حدث له في اليوم الخامس يقول: "بدأت اشعر أنني مت بالفعل ولم أعد أنتمي إلى هذا العالم، أنني ارتفع وأرى جسدي المغطى بالملاءة والعلم يجلس على بعد عدة أمتار مني يقرأ في مصحفه. إن كل حياتي، خالتي وعماد وليلى وسمير واماكلي، كل شيء أصبح ورائي. حينها شعرت انه لا شيء مهم، كلها أمور صغيرة لم تكن تستحق مني كل هذا الاهتمام"[1].

بعد نهاية التدريب وقد اكتمل الشهر على خالد محفوظ يعيش فيه شعور الفناء سائله المعلم بما يشعر فرد عليه خالد محفوظ بـ: "أشعر بالتواضع.. باني قوي ودائم ولا نهائي، ومع ذلك لا يوجد بداخلي أي زهو أو كبر.. اشعر أنني لست مرتبطا بأي شيء، لست احتاج إلى أي شيء لأشعر بالكمال، أنا مكتمل في ذاتي"[2].

أصبح خالد محفوظ يعرف ذاته الحقيقية ولم يعد عبدا لأناه بعد عيش هذه التجربة.

كانت رحلة خالد محفوظ مع المعلم في مكة أثناء محاولة العثور على ذاته الحقيقية وعيش السلام الداخلي عن طريق الشعور بالمحبة و التسليم و الامتنان، و حديث المعلم مع خالد محفوظ الذي يبدو كأنه وصية له يقول له: "إذا أغفلت و نسيت المحبة فعليك تذكر مبدأ "أنا هو أنا" و"كلنا أنا" فتعود المحبة إلى قلبك.. إذا نسيت التسليم وظننت أنك أنت من تقوم به فتذكر مبدأ "أنا شجرة" و"لا حول ولا قوة إلا بالله" فيعود التسليم إلى نفسك.. إذا نسيت الامتنان وظننت أنك تحصل على ما تحصل عليه لأنك تستحقه فتذكر استعادتك لبصرك من الظلام، فتمتلئ نفسك بالامتنان من جديد.. عليك مجاهدة نفسك طول الوقت وعدم الاستسلام للغفلة"[3]. وكل ما علمه المعلم لخالد محفوظ هو في الحقيقة إستراتيجية الذات لبناء الكينونة.

[1] الرواية، م.س، ص 275.
[2] المرجع نفسه، ص 276.
[3] المرجع نفسه، ص 291.

المبحث الثالث: مرايا الذات في الرواية

1-سمات الشخصيات الرئيسية في الرواية:

جاءت رواية ترنيمة سلام قائمة على ثلاث شخوص رئيسة، حيث كان لكل شخصية سماتها الخاصة التي تميزها عن الشخصيات الأخرى والتي نوضحها كتالي:

سمات شخصية خالد عبد الدايم:

تعد هذه الشخصية في الرواية من الشخصيات الرئيسية، حيث تمثل البطل في الرواية وهي تصوير لشخصية كاتب شاب، مغمور وطموح يتأمل أن يكتب رواية توصله إلى الشهرة وتحقق له المجد الأدبي الذي يناشده ويسعى له لكي يصبح من أشهر الأدباء والكتاب العرب.

كما نجد الكاتب يصور لنا هذه الشخصية على أنها إنسان عادي وبسيط، هدفه الأسمى والأساسي هو تحقيق أحلامه و طموحه، فجاءت الرواية ناقلة لنا محاولة خالد عبد الدايم، أن يكتب رواية مغايرة لكل الروايات التي كتبت واضعا أمامه أنه سينجح في جعلها أهم و أشهر الروايات العربية، ولكن ما نلحظه في هذه الشخصية البسيطة أنها لا تحب التطفل، ودليل ذلك تعامله مع غيرة أثناء رحلته التي تعمد فيها على حجز كرسيين في القطار كي لا يزعجه أحد ولا يتطفل على ما يكتبه، ولكن هذه الشخصية يحدث معها شيء خارج ما كانت تريده، حيث يجلس بجانبها عجوز، وهذا الأخير يحدث تغيرا في أولويات خالد عبد الدايم الذي يسمح لهذا العجوز بطريقة لا إرادية أن يجلس بجواره بعد أن كان معارضا لأن يجلس بجانبه أحد، فتبدأ هذه الشخصية بشعور بحيرة كبيرة حول سبب تقبله له وأنه يشعر وكأن هذا العجوز أسره فسمح له بذلك وتبدأ رحلة الشخصية البطلة مع ذلك العجوز.

سمات شخصية خالد محمد (العجوز):

تلعب هذه الشخصية أيضا في الروية دورا رئسيا، وبذلك في هي تمثل الشخصية الرئيسة الثانية بعد البطل، ويجسد هذه الشخصية عجوز يدعى خالد محمد جاور الشخصية البطلة أثناء سفرها، حيث كان لهذه الشخصية -العجوز- ما يميزها عن باقي شخصيات الرواية باعتبار أنها جاءت حاملتا صورة الإنسان الحكيم، حيث كانت غاية هذا العجوز هو نقل قصة أحد الأشخاص للبطل فكان بمثابة راوي في روايتنا، أيضا نجد أن شخصيتنا هذه كانت لها ميزة الإقناع باعتبار أن هذا العجوز في روايتنا حاول أن يقنع الشخصية البطلة بالاستماع إلى القصة التي لديه.

أيضا من الملاحظ على هذه الشخصية أنها شخصية مثقفة، وذلك يتضح من خلال الحوار الذي دار بينها وبين الكاتب خالد، أيضا هي شخصية تتسم بذكائها وبعد نظرتها ولباقتها وسماحتها وهدوئها، كل ذلك تؤكده لنا طبيعة تحاوره وتعامله مع البطل، فخالد محمد يمثل جسر وصل بين شخصية البطل والشخصية الثالثة، هذه الأخيرة تعد السبب الأساسي الذي استدعى ظهوره باعتبار أنه هو الذي نقل للبطل قصة الشخصية الثالثة في الرواية -خالد محفوظ-، هذا من جهة، من جهة أخرى نلحظ أن شخصية خالد محمد تحدث رعبا لخالد عبد الدايم، فتتشكل عنه بعض الشكوك لديه، وذلك بعد أن يبدأ العجوز بطرح أسئلة على البطل وكأنه يعرفه منذ زمن.

أيضا من الملاحظ على شخصية خالد محمد أنها تميزت بكونها شخصية معبرة، عن كل ما يدور في بال الكاتب خالد عبد الدايم، حتى كادت تكون شخصية مطابقة لها وهذا ما جعل من البطل يتخوف منه، وذلك لعلمه الكبير بماضيه؛ وحيث كاد أن يشبهه بأبيه ولكن في موضع آخر شبهه بنفسه عندما يصبح عجوزا، وما جعل من شخصية العجوز أكثر إثارة وفضول هو ظهورها المفاجئ، وكذا اختفائها المفاجئ كذلك وأنها شخصية لا مرئية في روايتنا هذه إلا عند البطل.

سمات شخصية خالد محفوظ:

تمثل هذه الشخصية في الرواية خالد ثالث وهو مؤلف شاب حياته مليئة بالإخفاقات، وهي الشخصية الرئيسية الأكثر تركيزا في الرواية، وهو يفشل في توقيع أول عمل قصصي له ويسخط على هذه الحياة، وكذا على زوجته وعلى الوضع الذي هو به، وأنه لا يصلح لشيء، كما يحدث له أن يفقد بصره بعد شجاره مع سائق ميكروباص، وهنا يبدأ بتحميل مسؤولية فقدان بصره لزوجته، يحاول الانتحار لكنه يفشل، بعدها يبدأ في التأقلم مع عماه، ثم يرجع له بصره فجأة، وهنا يبدأ برؤية الحياة من منظور آخر ويسعى وراء اكتشاف نفسه ورؤيته العالم من وعي مختلف. يبقى في مكة ثلاث سنوات وهو يعمل على الوصول إلى السلام النفسي، وإلى ترنيمة السلام، ويصل لذلك. ويعود إلى مصر، ويصبح متصالح ومتسامح مع ذاته والكون.

2-مرايا وانعكاسات الشخصيات الرئيسية في الرواية:

جاءت ترنيمة سلام محملة بشخصيات متشابكة؛ فعندما ننظر إلى أسماء الشخوص الرئيسية التي تتمحور حولها أحداث الرواية، نلحظ بطريقة لا إرادية الشبه غير العادي بين أسماء هذه الشخوص الرئيسية الثلاث التي تتمحور حولها الرواية، فالكاتب أحمد عبد المجيد جعل من اسم خالد يتكرر ويتداول بين الثلاث شخصيات الرئيسية التي تضمنتها ترنيمة سلام، وهذا يدل على أن الكاتب اعتمد على رمزية كبرى جعلت كل من يقرأ الرواية ينشغل بفك شفرة هذه الرمزية، ومن بين أهم الصور التي تجلت فيها هذه الرمزية نذكر العلاقة بين الخوالد الثلاث، وأخص القول بين كل من خالد عبد الدايم الكاتب الشاب وخالد محمد العجوز، وهنا يمكننا أن نتساءل حول

هذه العلاقة بين كلا الشخصيتين، وماذا يمثل خالد محمد لخالد عبد الدايم؟ وهل خالد عبد الدايم هو خالد محفوظ في زمن آخر؟ أم هو نفسه؟ وما هي العلاقة الأساسية بينهم؟

إذا ما أمعنا النظر جيدا حول التشابه الاسمي الذي بين كل من الشخصيتين يمكننا أن نقول أن هذا يعد من المفاتيح الهامة التي تعبر عن التشابك الوثيق بين كلاهما، ولكن القارئ لترنيمة سلام يجذبه في هذين الشخصيتين التشابه الإسمي، ولكن هناك حلقة مفقودة في طبيعة العلاقة بينهما، وهذا هو العنصر الذي لعب عليه الكاتب ليحفز أي قارئ للتوغل في الرواية، وتميز وحل متاهة الرمزية التي جاءت كل من هاتين الشخصيتين محملة بها، فإذا ما ذهبنا إلى العلاقة بين خالد عبد الدايم وخالد محفوظ، فإنه في البداية نلحظ أن علاقتهما لا تتجاوز علاقة شخصين عاديين جلسا بجوار بعضهما في القطار، ولكن مع إمعان القراءة نجد أن خالد محمد كان تجسيدا لروح خالد عبد الدايم أو عقله الباطن (ضميره). وهنا يمكننا أن نقول أن الرابط بينهما هو عبارة عن لقاء من نوع خاص؛ قابل فيه خالد عبد الدايم روحه أو لاوعيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نذهب إلى القول أن العلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة مستقبلية؛ أي أن السبب الذي جمع كل من خالد عبد الدايم وخالد محمد (العجوز)، هي العلاقة التي تدخل تحت ما يمكننا أن نسميه باللقاء الخاص لخالد الكاتب الشاب مع مستقبله الذي يجسده خالد محمد العجوز.

وفي تفسير آخر لطبيعة العلاقة بين هاتين الشخصيتين، نذهب إلى القول بأنها علاقة تداخل وذوبان كل شخصية في الأخرى، فالكاتب في شخصيتي خالد وخالد أراد أن يقول لنا أن خالد محمد هو نفسه خالد عبد الدايم عاد بطريقة ما إلى الماضي، من خلال آلة زمن أو من خلال قدرته الخاصة ليلتقي بنفسه في الشباب وينقل لها خبرته كلها ليساعدها في تحسين حياتها، أي أمام خالد الشاب -خالد عبد الدايم- نجد خالد محمد الذي يمثل خالد الشاب عندما كبر كثيرا وصار عجوز، وهذا الأخير في ذات الوقت هو العقل الباطني لخالد الكاتب الشاب وداخله، كذا يمثل نظرته المستقبلية التي تحكي لخالد عبد الدايم كل ما سيقع له، وذلك ليتجنب الوقوع في أخطاء الماضي، باعتبار أنه - خالد محمد- هو صورة خالد عبد الدايم في شكلها العجوز التي أصابها الكبر، والتي عادت لتحمي نفسها من الوقوع في أخطاء الماضي.

وإذا انتقلنا إلى تفسير مغاير لطبيعة العلاقة بينهما، فإننا نذهب إلى القول أن كل منهما يمثلان شخصا واحدا، ولكن من عوالم متوازية، ذلك ما يوضحه لنا ما قاله خالد محمد لخالد عبد الدايم عندما سأله في نهاية الرواية عن من يكون هو، فرد عليه بأنه (أنا أنت ، ولكن بتاريخ مختلف) ، أي أن الشخصيتين هما نفس الشخص ولكن لكل منهما تاريخ مختلف عن تاريخ نسخته والعوالم الأخرى، في حين يمكننا أن نرجح بأن كل منهما نفس الشخص ولكنهما يماثلان احتمالين مختلفين؛ أي أن خالد محمد نسخة من خالد عبد الدايم ولكن بتفكير آخر مغاير أي أن خالد العجوز كان له اختباره في الحياة ومساره و توجهه، بينما خالد الشاب كانت له هو الآخر

اختيارات مغايرة لخالد محمد وتفكيرا مغايرا، ولكن العنصر الجامع بينهما أنهما نفس الشخص ولكن باحتمالات مختلفة.

من خلال ما سبق، وما تطرقنا إليه من التخمينات حول العلاقة بين خالد الشاب وخالد العجوز، نخلص إلى القول أنه لا يمكننا أن نذهب إلى التأكيد أن كل منهما هو ذات الشخص، كما لا نستطيع أيضا أن نقول أنهما شخصان مختلفان، فالكاتب هنا اعتمد هذا النوع من الترميز لجعل القارئ يعمل عقله في هذا اللغز، ولكن الأصل هو الذهاب إلى القول بأن علاقتهما هي علاقة اتصال دائم وأبدي؛ فخالد محمد هو الضمير الحي لخالد عبد الدايم، وأيضا خالد الثالث الذي يمثله خالد محفوظ هو الآخر يمثل خالد عبد الدايم ويرتبط به في زمان ومكان مختلف، وإذا ما تمعنا جيدا في الخوالد الثلاث نذهب إلى استنتاج جامع أن كل من هذه الشخصيات هي تجسيد لشخص واحد، وهذا ما يؤكده لنا خالد عبد الدايم بقوله: "وحينما وصلا عندي مددت يدي إلى الضابط ببطاقتي، فتأملها غمغم: خالد محمد عبد الدايم محفوظ... اسم الشهرة خالد عبد الدايم"[1]. فالعلاقة التي يربط بين هذه الشخوص هي علاقة متضمنة في "مفهوم الكون الموازي عند تطبيقه على النفس أن الجانب متعدد الأبعاد والأيدي والكوني منك يختبر جميع الطرقات في أن وأحد، وقد سافر ويسافر وسيسافر عليها كلها. لا تسافر هذه الروح الجمعية لنفس على جميع الطرقات فقط بل إنها تصنع الطرقات التي تسلكها هي والأرواح الأخرى في سفرها. أنت موجود. سلفا في نسخ مختلف كثيرة للنفس رغم أنك (نسختك المحدودة) لا تدرك إلا واقعا واحدا"[2]. ذلك أنه توجد أمامنا مئات الطرقات لنسلكها، ونحن نختار أي طرق نسلكه، كذلك هو الحال بين شخصية الخوالد الثلاثة.

جاءت العلاقة المكونة لشخصيات الرئيسية الثلاثة لرواية، متبنية لما جاء به علماء نظرية الأكوان المتوازية في بنائهم لهذه النظرية، حيث أن تجربة ميكانيك الكم هي أكبر مثال موضح لطبيعة التوازي الكوني الموجود بين الشخصيات فقد "أوجد الفيزيائي هوف إيفيريت الثالث (**Everrett**) في البداية نموذج العوالم المتعددة في عام 1957 بناء على مفاهيم تكونت في مدرسة كوبنهاغن للفيزياء وذلك لتفسير حالات محدد من الشذوذ في ميكانيك الكم (**Quantum mechanics**). يقر علم ميكانيك الكم بأن مراقب الحدث ليس مستقلا عن الحدث، ما يعني أن الظاهرة الخاضعة للمراقبة تتصرف وفقا لتوقعات المراقب. يمضي نموذج العوالم المتعدد خطوة أخرى باقتراح أنه ومع كل حدث خاضع للمراقبة فإن الواقع ينقسم إلى واقعين مختلفين وغير متداخلين"[3]. فهذه النظرية هي مكثفة جدا، وتحتاج لشرحها كثير لفهم محتواها والمقصد منها.

[1] الرواية، م.س، ص 258-259.

[2] فريدريك داودسون: العوالم المتوازية لذات، تر: جانبوت حافظ، الاكادمية الدولية لتنمية الذاتية، الكويت، ط1، 2014، ص 11.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

يمكن إبراز معنى واضح لهذه النظرية وهو أنها "نسخ الواقع التي لا تتجسد هنا تتجسد في مكان آخر وهي حقيقة واقعية بالنسبة لمراقبيها كما هي نسختك بالنسبة إليك. بكلام أكثر وضوحا فإن هـذا يعـني أن ليـس مـن واقـع من دون المراقـب المرتبـط به، وليس هناك مراقب من دون واقع الخاص. نسخة الواقع ونسخة المراقب مرتبطتان. وتأتي كل واقع مع مراقبه، وكل مراقب وواقعة"[1]. والمراقب في هذه الحالة هو الفرد، وينطبق على أي إنسان.

أما إذا انتقلنا إلى توضيح آخر لنظرية الأكوان المتوازية فإننا نجد أنه "هناك عدد لا نهائي من نسخ الواقع لا تدركها لكنها حقيقة بقدر واقعك الحالي، وهي قائمة يمكن الوصول إليها لأنها هي أيضا أنت يعني هذا أنه ليس عليك فعلا أن نصنع هذه النسخ من الواقع فهي قائمة أساسا، كل ما عليك أن تصبح نسخة نفسك المرتبطة بالواقع المرغوب"[2]. كل هذا التوضيح حول هذه النظرية هو موازي لطبيعة العلاقة الجامعة بين خالد الكاتب الشاب وخالد الحكيم العجوز وخالد الفاشل الباحث عن السلام الذاتي.

ونتوجه أيضا إلى نقطة أخرى مهمة في تفسير العلاقة بين كل من هذه الشخصيات، والتي تقودنا إلى ما يسمى بالأحلام وفكرة الموت وأنت حي، حيث "تعتبر الأحلام من الطرف الأخرى لنظر إلى العوالم الموازية. غالبا ما تصنف أحلام النوم على أنها غير مهمة، لكنها حين لا تتعلق بمعالجة معلومات اليوم الفائت فهي على الأغلب تظهر حالات وجودية متوازية، وتظهر فيها شخصيات وأدوات مشابهة لواقعك القائم لكن بخلفيات وظروف وسيناريوهات أخرى"[3]. ذلك أن الحلم في روايتنا يمثل القالب الأساسي والفضاء الثابت والأداة الترميزية المبهمة التي اعتمدها كاتب الرواية أحمد عبد المجيد لربط بين شخوص الرواية، ونذكر بالخصوص شخصية العجوز، فهذا الأخير كان أساس تكونه وظهوره كغيره من الشخوص في روايتنا هو حلم الكاتب الشاب خالد عبد الدايم الذي كان هو الآخر داخل هذا الحلم.

فالكاتب أحمد عبد المجيد عندما جعل من بطل الرواية -خالد عبد الدايم- ينام في القطار، فهو بذلك أدخلنا إلى رمزية أخري في العلاقة بين شخوص الرواية، وهي ما تعرف عند وين داير بالأحلام و فكرة الموت وأنت حي.

[1] فريدريك داودسون: العوالم المتوازية لذات، م.س، ص 12.
[2] المرجع نفسه، ص 13.
[3] المرجع نفسه، ص 16.

و "إن هذا الموضوع سبق وإن تحدث عنه الفيلسوف "ثورد" حين قال" إن حياتنا الحقيقية هي تلك التي تكون في أحلامنا أثناء اليقظة". ولكن تقوم بإجراء عملية المقارنة؛ حاول التفكير في ثلاث مستويات من الوعي. المستوى الأول هو الذي سوف نسميه الوعي أثناء الحلم، والمستوى التالي لذلك هو الوعي أثناء اليقظة، والمستوى الثالث سوف نسميه قمة الوعي"[1].

يذهب واين داير في نفس فكرة الحلم والتي تنطبق مع ما عاشه خالد عبد الدايم وهو يحلم بكل ما مر بك من شخوص وأحداث، إلى أنه "لا يوجد ما يسمى بالمثير ورد الفعل أثناء الحلم، ففي أثناء الحلم يمكن أن تأتى وتذهب بحرية تامة دون أن تكون مقيد بقوانين المثير ورد الفعل؛ وهذا هو ما نكون عليه تماما ونحن في حالة التفكير"[2].

الحلم الذي مثله أحداث والشخوص التي مرة على كاتبنا الشاب خالد عبد الدايم امتاز بالامحدودية؛ أي ليس هناك بداية لهذا الحلم ولا نهاية، وذلك أنه "يمكن أيضا أن يكون هنا في الوعى أثناء اليقظة بغض النظر عن البدايات والنهايات، ونكون دائما في حالة خيال ممتد في مفهوم الأبدية والخلود تعد فكرة البداية والنهاية نوعا من العبث و اللامعقول"[3]. هذا يعني أن الحلم والولوج فيه لا يكون له منطلق كما هو الحال مع خالد عبد الدايم فالكاتب أحمد عبد المجيد لم يبين لنا أن بطلنا - خالد عبد الدايم- يحلم حيث جعله يلج الحلم ويتماهى فيه دون وعى منه ذلك أن "عندما ندخل في الحلم لا يجب أن يكون هناك بداية لكل حلم، فنحن موجودون هناك بكل سهولة وبمنتهى الوضوح والبساطة، وليس هناك حاجة إلى البداية من جديد"[4].

يحتوي الحلم على أحداث وكذا على شخوص وأيضا على مشاعر، فصاحب الحلم يعيش حلمه كما يعيش واقعه، ويشعر فيه بذات الحالات التي يستشعرها في الحقيقة، فيغضب ويتوتر ويفرح... وهذا ما عايشه أيضا خالد عبد الدايم في علاقته مع العجوز خالد محمد "فالعقبات هى الفرص وفي الحقيقة فأثناء الحلم يمكن أن نغضب من شخص ونستيقظ ومازلنا في حالة الغضب والتوتر، والدرس الذي نتعلمه من هذا هام جدا وهو أن الغضب حقيقى ونحن نمر به أثناء النوم واليقظة أيضا، ولكن الناس والأشياء الذين نشعر بالغضب تجاههم جميعهم أوهام"[5].

[1] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 89.
[2] المرجع نفسه، ص 89.
[3] المرجع نفسه، ص 91.
[4] المرجع نفسه، ص 90.
[5] المرجع نفسه، ص 92.

وفي نقطة أخرى، نذهب إلى القول أن الكاتب خالد عبد الدايم هو الذي خلق شخصية خالد محمد -العجوز- في حلمه، وكذا ردود أفعاله معه وكلامه وغيرها من الأفعال، ذلك "أنك تخلق كل شيء تحتاج إليه في الحلم. إننا نقوم أثناء الحلم بخلق كل شيء يحدث؛ حيث نخلق جميع البشر والأحداث وردود أفعال الأشخاص والشكل الذي يكون عليه عامل الزمن أي نخلق كل شيء. أننا نخلق أيضا كل شيء نحتاجه أثناء الإدراك في ساعات اليقظة"[1]. ذلك أن الكاتب أحمد عبد المجيد، جعل من شخصية البطل تخلق كل تلك الأحداث في الحلم، وهذا ما جعل جميع الشخصيات تشترك في الكثير من الصفات (خالد).

فخالد عبد الدايم في علاقته مع العجوز خالد محمد وتعامله معه طيلة حلمه أراد أن يجعل من العجوز الأداة التي يسقط عليها أفكاره الموجودة واقعيا وحقيقة ولكن معتمدا في التعبير عنها من خلال شخصية خالد محمد الوهمية، أي أن جميع ردود الأفعال حقيقية، ولكن الأشخاص مجرد أوهام "ولكن يجب أن نتذكر أننا خلقنا جميع الشخصيات والأحداث وإننا نتعامل معهم في الفكر فقط على الرغم من وجود ردود أفعال واستجابات صادرة عن الجسم. إن الشخصيات ما هي إلا مجرد أوهام ولكن الفعال حقيقية"[2].

جعل الكاتب أحمد عبد المجيد خالد محفوظ يلج في الحلم، ولم يظهر لنا أن الكاتب الشاب الذي هو بطل الرواية كان يحلم، حيث بلور الأحداث والعلاقة بين الشخوص والحوار مع العجوز كأنه واقع، ولكن اتضح في آخر الرواية أن البطل - الكاتب الشاب خالد عبد الدايم- يحلم بعد أن ستقيظ ولم يجد ذلك العجوز- خالد محمد- الذي كان يجاوره في مقعد القطار، ذلك أن الطريقة التي تعرف بها أنك تحلم هي أن تستيقظ من الحلم؛ أي أن "الطريقة الوحيدة التي تستطيع أن نفهم فيها أننا نحن الفكر والفكر هو نحن هي أن نستيقظ الآن ونستخدم وجهة النظر الجديدة لنجعل من الفترة التى نعيشها تجربة رائعة ومتجانسة وجميلة بقدر الإمكان، وهذا لا يستبعد التدقيق في محتويات الحلم وظروف الحياة ساعات اليقظة لمزيد من إدراك النفس والفهم"[3].

كذلك من العناصر الأساسية المكونة لعلاقة خالد عبد الدايم وخالد محمد العجوز، وهو مبدأ الوحدة -أنا هو نحن- "بالطبع هناك تناقض بين أن تكون فريدا ومميزا، وبين أن تكون بجانب شخص واحد في نفس الوقت، غير أن هذا هو واقعنا، وعندما ندرك كيف يعمل مبدأ الوحدة أو الكيان الواحد في هذا الكيان الواحد في هذا الكون اللامتناهي؛ سوف نبدأ في رؤية كيفية جعل هذا المبدأ يعمل ليس فقط لصالح كل منا"[4]. هذا ما يمكننا أن نلحظه في التجانس الكبير بين كل من شخصيتي الكاتب والعجوز.

[1] وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به، م.س، ص 29.
[2] المرجع نفسه، ص 94.
[3] المرجع نفسه، ص 96.
[4] المرجع نفسه، ص 120.

ختام القول يمكننا أن نخلص إلى أن خالد عبد الدايم -البطل- وخالد محمد -العجوز- وخالد محفوظ، جمع بينها عدة عناصر كانت الأساس في تكوين رابط قوي بين كل منها حتى الملاحظ لطبيعة هذه الشخصيات الثلاث يرجح أنها شخص وأحد، اجتمعت في زمان ومكان واحد وهمي هو الحلم ولكن كل منهم يمثل ذات الشخص من زمان ومكان مختلفين وعالم موازي.



خاتمة



خاتمة

يعتبر السلام النفسي غاية أساسية من غايات الإنسان، ذلك أنه يجعله يشعر بحالة من الراحة والسكينة، ويساعده على التغلب على كل ما يزعجه ويعكر صفو حياته. ويتحقق هذا السلام عن طريق حب الذات والتصالح معها، وحب الحياة. وقد اعتمد الكاتب **أحمد عبد المجيد في بناء روايته "ترنيمة سلام"** على كل العناصر السابقة، ونقل من خلالها تجربة روحية تأخذ كل من يقرأها إلى استشعار الراحة والسلام، فوظف تقنيات إعادة بناء الذات التي تأخذنا إلى مجال التنمية البشرية، كما نلحظ في جوانب منها مسحة من الفكر الصوفي السامي.

وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

1– تتجلى صور الكينونة المزيفة في الرواية من خلال الأفكار والمشاعر والسلوكات السلبية للشخصية الرئيسية. وللوصول إلى السلام النفسي لابد من التغلب عن الأنا الخاصة به، والتي مآلها الزوال والاختفاء لأنها مزيفة.

2– بعدما تصل الذات إلى الكينونة الحقيقية فإنها تسمح للأفكار والمشاعر الإيجابية بأن تغلب عليها، وهذا ما ينعكس على علاقة الذات مع ذاتها بأن تصبح أفضل. وكذا علاقة الذات مع الآخر حيث تنمو مشاعر الود والاحترام تجاهه، وتختفي جميع المشاعر السلبية نحوه.

3– تعتمد الذات على استراتيجيات لبناء الكينونة الجديدة مثل: التأمل، انحلال وهم الانفصال وفناء الأنا في الله.

4– تنقسم الذات الإنسانية إلى جانبين: الذات الحقيقية التي تحمل كل ما فيه الخير والصلاح، والذات المزيفة التي تسمى الأنا أو "الإيجو" وتحمل الكثير من العقد والنقائص، وتكون الأنا المزيفة هي الطاغية على الإنسان في أغلب الأحيان.

5– يوجد في داخل كل إنسان بذرتين: بذرة الخير وبذرة الشر. وهو المسؤول عن أيهما يختار ليعيش حياته.

6– يصل الإنسان إلى حب ذاته عن طريق تقديرها واحترامها، وهي بعيدة كل البعد عن الأنانية.

7– يسير الإنسان إلى الغاية التي وجد من أجلها، فكل إنسان مسير لما خلق له.

8– يستطيع الإنسان أن يتوغل في ذاته ويدرب كينونته لتصل إلى الشفافية التي كانت في المهد. أن يعود إلى أصله بالاعتماد على مصدر الوجود والخلق.

وفي الأخير نرجو أن يكون بحثنا هذا مفيدا ولو بالقليل، فهو بطبيعة الحال ليس إلا منطلقا لبداية أخرى وما يسعنا إلا أن نقول إن أصبنا فهي من الله وحده لا شريك له ولنا أجران، وإن أخطأنا فهي من أنفسنا ومن الشيطان الرجيم ولنا أجر، إلا أن عزائنا الوحيد أننا بذلنا قصار جهدنا.

ملاحق

ملاحق

ملخص الرواية:

تعد رواية –ترنيمة سلام– من الروايات التي تنقلنا أحداثها إلى عوالم لم نتوقعها، لم نتوقعها ليس لأنها أحداث خيالية مدهشة وإنما لأنها تجعلنا نغوص في أعماقنا ونتأمل في أنفسنا لنصل للحظاتنا الكبرى! إذ يضعنا الكاتب مباشرة فيها منذ بداية الرواية "سأخبرك عن لحظتي الكبرى" التي من خلالها يشد القارئ لأحداث هذه الرواية، ففي تلك المحطة يحكي الراوي -الذي سنتعرف عليه فيما بعد من خلال أحداث الرواية القادمة- عن تجربته الروحية العميقة، ينقلنا إلى لحظته الكبرى التي لم يحس فيها إلا بشعور عميق من الطمأنينة والسلام!

يسرد لنا الكاتب تفاصيل رحلته من القاهرة إلى أسوان من أجل كتابة روايته الجديدة، وقد نبه القارئ في أولى صفحات الرواية أن ما حدث في هذه الرحلة مجرد سرد للوقائع التي حدثت وينقلها كما هي دون تدخل منه! وفيما بعد يخبرنا عن سبب قيامه بهذه الرحلة في القطار ذهابا وإيابا: أنها من أجل كتابة قصتين رائعتين كما فعل من قبل عندما كتب قصة في القطار بسبب الملل وفازت في مسابقة ساقية الصاوي! فأراد إعادة التجربة مرة أخرى.

أثناء رحلته هذه حجز مقعدين مجاورين حتى لا يتطفل عليه أحد ويفسد رحلته ولكنه سمح لعجوز في الستين من العمر أن يجلس في المقعد المجاور رغم عزمه على أن يكون صارما أمام أي مقاطعة، ولكن ذلك العجوز شعر أمامه أنه كان مألوفا، وأنه يعرفه، رآه من قبل ولكن لا يتذكر أين، ولا يستطيع منعه من الجلوس أمامه فقد يكون أحد أقاربه ولكنه لم يعلم أنه بعد مقابلته لهذا العجوز والتحدث معه أن شيئا رائعا سوف يحدث له، أمرا استثنائيا!.

يدور حوار شيق بين الراوي الكاتب والعجوز حيث يشرح هذا الأخير أن أسباب تلك الحالة التي أحاطت بالكاتب عند كتابته لتلك القصة العظيمة لا تدور حول السفر وإنما حول الظروف التي أحاطت به خلالها، لأنه خرج حيز الزمن، لم يعد يفكر في الماضي ولا المستقبل، عاش لحظته الخاصة وغاص فيها دون مؤثرات خارجية تلهيه عنها، بعدها تحدث مصادفات كثيرة بين الراوي وهو خالد عبد الدايم والعجوز خالد محمد، حيث إن الأول هو مهندس كمبيوتر والأخر مهندس معماري، خالد الأول كاتب وخالد الثاني متأمل للحياة الذي في نظره لا يوجد فرق بين الكتابة وتأمل الحياة. بالإضافة إلى أنهما يشتركان في ملاعق السكر الخمسة! فيتحدثان عن التأمل والحياة والسعادة، عن كيفية عيش اللحظة والخروج من أسر الزمن!

يأسرنا الشيخ خالد بحديثه عن لحظته الكبرى في السابع والعشرين من شهر رمضان بعد صلاة التراويح، لحظة وصوله إلى ما يسميه بالأنس ويسميه البوذيون بالنير فانا، وهي حالة الشعور بالسلام والتسامح والتصالح مع كل

شيء طوال الوقت ولكن تلك الأجواء الروحية الرائعة من حالة السلام النفسي لا تدوم طوال الوقت، وإنما هي لحظات استثنائية تفيض فيها النفوس بالسلام ويمكن الإطالة فيها فقط، ومع ذلك يعرف فإنه يعرف شخصا وصل إلى ذلك السلام النفسي وهو خالد محفوظ.

من البدايات الأولى لسرد قصة خالد محفوظ نلاحظ التشابهات الكثيرة بين شخصيات الرواية الثلاثة: تشابه في الاسم "خالد" تشابه في المهنة "مهندس" تشابه في الهوايات "الكتابة والتأمل" تشابه في اسم الصديق "سمير" وتشابه في العائلة" موت كلا من والد خالد عبد الدايم و والدي خالد محفوظ"!.

تبدأ قصة خالد محفوظ بكونها قصة عادية لشخص يكره نفسه ويخجل من شكله وجسده، يغار على زوجته وكأنه يشعر أنه سيفقدها لصالح أحد الرجال الأفضل منه لو أنها تزينت قليلا ولفتت انتباه أحدهم لأنه يشعر في أعماقه دون وعي منه أنه لا يستحق ليلى زوجته، ويظن أن الحياة ليست عادلة معه لأنه ليس ناجحا كالآخرين لأنه يشعر في أعماقه أنه لا يستحق النجاح فلم يبدل جهدا لإنجاح مجموعته القصصية. ولكن ما يجعل قصة خالد محفوظ قصة تستحق لحكي هو أنه وصل إلى مرحلة لم يمتلك أحد منا الشجاعة التي امتلكها هو للوصول بالتدمير الذاتي لحياته إلى منتهاه، فلم يحرم نفسه من النجاح فيها بل سوف يحرمها أيضا من الحب!.

وما حدث فيما بعد هو أن خالد محفوظ ترك زوجته ليلى خلفه في مكان حفل توقيع مجموعته القصصية الأولى التي لم يحضرها سوى خالته وابنها عماد وصديقه سمير الذي كان يغار منه ويرى أن الحياة ليست منصفة فقد أعطت لسمير هذا كل شيء! كل ما يحلم به هو في حين أنه من يستحق النجاح ويملك الموهبة لم تعطه أي شيء، ألقى باللوم على الحياة وعلى الآخرين عدم نجاحه وقدم أعذار واهية لنفسه وللآخرين أيضا، فكر أنه مظلوم وأن الحياة تآمرت عليه، وهذا ما خلق أزمة بينه وبين زوجته ليلى التي لم تتحمله وطلبت منه الطلاق! وغادرت المنزل.

تبدأ مرحلة جديدة في حياة خالد محفوظ يوم ذهابه إلى منزل عائلة ليلى ليرجعها إلى بيتهما فيستقبله عمها بكلام ينتقده فيه ويراه خالد أنه جرح كرامته فلم يطقه وغادر المنزل غاضبا، وفي تلك الليلة بالذات التقى بالرجل الذي سوف يغير حياته فيما بعد: سائق ميكروباص الذي أثار غضبه فضربه على رأسه أفقده الوعي وفيما بعد فقد البصر!! لتتغير حياته بعد فقدانه لبصره وأصبح شخصا لا يطاق، فظا في تعامله مع الآخرين، وازداد غضبه وحقده وعدوانيته بسبب ما يعانيه، فلم يكفيه فشل مجموعته القصصية التي أنفق عليه مدخراتهما هو وليلى، ثم طلبت ليلى الطلاق منه، وها هو الآن يفقد بصره!.

إنها سلسة من الأحداث المأساوية التي يعيشها ومع ذلك لا يزال يلقي باللوم على الآخرين وأنهم السبب في حالته هذه وخاصة ليلى التي حملها مسؤولية فقدانه لبصره أكثر مما حملها لذلك السائق، ولكن ومع ذلك تعود إليه ليلى وبعد معرفتها بالحادث الذي وقع له ويرجعان للعيش في منزلهما بعدما كان يعيش عند خالته، ولكن هذا

لم يدم طويلا لأن ليلى تطلب الطلاق منه مره أخرى لأنها لم تعد تستطيع العيش معه فهو لم يتغير ولم يكن مستعدا لأن يعيد النظر في حياته وتصرفاته، والمشاكل بينهما لا تنتهي خاصة عندما دخل سمير بينهما واتهمها بخيانتها له مع صديقه هذا، فيحاول الانتحار بعد مغادرة ليلى للمنزل فيشنق نفسه، ولكن محاولته هذه تبوء بالفشل ويأتي عماد ويأخذه إلى منزل خالته مرة أخرى.

بعد هذه الحادثة تبدأ حياة خالد محفوظ بالتغير، لأنه وأخيرا تقبل حالته تلك وبين لعماد وخالته أنه في حال جيدة حتى لا يقلقوا عليه، وعاد إلى الكتابة مرة أخرى، وتعلم الإعتماد على نفسه في فعل كل شيء، لقد أصبح شخصا جيدا بالفعل، عاش أياما من الرضى حتى وقعت له حادثة النجاة، اصطدم رأسه بحوض الحمام فعاد إليه بصره من جديد، لأن إصابته بالعمى لم تكن لسبب عضوي وإنما لسبب نفسي، فكانت استعادة خالد لبصره جعلته يفكر في الحياة بطريقة أخرى، جعلته متأملا محبا للحياة، راضيا بحياته، متدبرا خاصة بعد قراءته لكتاب الحكم العطائية وشرحها، وتعريجه على سيرة المصطفى وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وما لاقاه أثناء دعوته إلى الإسلام، وهل يمكن للبشر العادين أن يسموا بأرواحهم كما فعل الأنبياء؟

بعد مضي بعض الوقت اتصل به صديقه الثالث يدعوه إلى زيارة الولايات المتحدة الأمريكية بطلب من مايكل وهو مختص في التنمية البشرية، ولكنه عندما يصل إلى هناك وجد مايكل قد غادر البلد في رحلة قد تدوم لأسابيع فقضى وقته برفقه صديقه يوسف الذي دعاه لحضور محاضرة لدكتور واين داير صاحب كتاب "قوة النية" ويلقب في أمريكا بأبي التحفيز، وكانت هذه المحاضرة تدور حول الإلهام، فشعر بالراحة والطمأنينة والحب بعد سماعه لقصة أماكلي الحزينة، حيث أدرك حينها أن التسامح غير مشروط، ولقد حلق بروحه إلى السماء، لقد سامح ليلى وسمير وأحس براحة والطمأنينة.

بعدها حدث تغير جذري في حياة خالد محفوظ وشخصيته عند ذهابه إلى مكة لأداء العمرة وهناك التقى بالشخص الذي نضج على يديه، أرشده إليه شيخ عرفه أول مرة في الحرم وهناك مر بتجربة روحية مميزة قضى فيها 3 سنوات من عمره هناك وصل فيها إلى السلام النفسي الذي كان يطمح إليه، وبعد عودته إلى بلده مصر لاحظ الجميع التغير الجذري الذي طرأ عليه، حيث أصبح شخصا أقل عصبية وأكثر إشراقا، وحدثت معه مواقف عديدة مثيرة مختلفة عن باقي المواقف التي تحدث للناس عادة، لقد بدا عليه السلام الذي يعيشه في تصرفاته وتجلت أكثر في مساعدته للآخرين، وفيما بعد تزوج بجارة خالته اسمها أمل، وليلتقي فيما بعد بزوجته السابقة ليلى وصديقه سمير اللذان تزوجا من بعضهما، سامحهما و ارتاح أخيرا من ذلك العبء الثقيل الذي كان يحمله واختفى ذلك الغضب من نفسه، وألف رواية "عدم" ونجح في حياته، أنجب فتاة سماها حياة.

نهاية الرواية كانت عند استيقاظ خالد عبد الدايم في القطار حيث لم يكن هناك أثر لخالد محمد، سأل عنه الركاب فأجابوه أنه بقي نائما في القطار طوال الرحلة وأن أحدا لم يكن يجلس معه، ولم يستوعب أكان كل ما مر

به من أحداث حقيقية أم أنها حلما، وبقي مذهولا لما مر به فهو عاش كل لحظة بشخوصها وأماكنها وأحداثها وكأنها حدثت الآن، بعدها حمل أغراضه ونزل من القطار وهو يقرأ آية الكرسي في سره مغادرا القطار.

نبذة عن الكاتب أحمد عبد المجيد:

أحمد عبد المجيد هو روائي وقاص مصري "من مواليد 1980 بمحافظة سوهاج، درس علوم الحساب في كلية الحاسبات والمعلومات جامعة القاهرة، وتخرج منها سنة 2002، صدرت له روايات؛ "ترنيمة سلام" في 2013، "عشق" في 2015، "التابع" في 2017، و"خطايا صغيرة" في 2019، وكتاب "سلام" في 2020، ويقيم في القاهرة متزوج وأب لطفلين.[1]"

تعد رواية ترنيمة سلام، من الروايات التي لاقت إقبالا كبيرا من قبل القراء وهي الرواية التي أعطت للكاتب شهرتا واسعة، فقد "صدرت طبعتها الأولى في شهر يوليو2013 من إصدار دار "ن" للنشر والتوزيع، وصدرت الطبعة الثانية شهر فبراير 2014، وصلت روايته الأولى "ترنيمة سلام" إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها الثامنة فرع المؤلف الشاب. يعمل مديرا لنشر في دار الرواق للنشر والتوزيع.[2]"

كذلك تعد رواية عشق من الروايات التي اشتهر بها أحمد عبد المجيد سنة 2015، "وفي يناير 2017 أصدر روايته "التابع" والتي أفصح الكاتب أنها الأفضل بين أعماله بنظره -في كتيب صغير يتحدث فيه عن الرواية عموما وعملية- "التابع وترنيمة سلام" بوجه خاص. بينما كان عمله الرابع رواية "خطايا صغيره يناير 2019.[3]"

ما يمكننا أن نقوله عن الكاتب والروائي أحمد عبد المجيد أنه على الرغم من أن مساره في مجال الكتابة كان حديثا ودخوله له أيضا كان مبكرا إلا أنه وفي فترة قصيرة ووجيزة جدا استطاع أن يحقق إنجازات واسعة في مجال الرواية العربية الحديثة، حيث لاقى شهرة واسعة خصوصا مع روايته ترنيمة سلام التي امتازت بجاذبيتها الكبيرة بالنسبة للقراء والزخم الكبير من التنوع الفكري والإبداع الروائي التي جاءت محمل به وامتزاجها بالجانب الروحاني والجانب الصوفي وتهذيب الذات.

---

[1] أحمد عبد المجيد https://www.goodreads.com/ahmed-abdul-majeed
31/08/2020، ساا: 15:50

[2] أحمد عبد المجيد https://www.abjjad.com/author/2774597632/احمد-عبد-المجيد/books
مصر 1980، 31/08/2020، ساا: 15:54

[3] المرجع نفسه

ملخص

ملخص

تناول البحث موضوع كينونة الذات وذلك في رواية "ترنيمة سلام" للكاتب الروائي المصري أحمد عبد المجيد، حيث تضمن البحث مقدمة مع مدخل نظري وفصلين وخاتمة؛ المدخل النظري جاء بعنوان كينونة الذات والوجود خصص للقضايا والمصطلحات الهامة التي لها علاقة بالموضوع كقضية الوجود والعدم والذات والكينونة، كما تطرقنا فيه إلى توضيح مفهوم الذات والكينونة والمشاعر وكذا قضية الوجود والكينونة، والوجود والعدم، والذات والوجود، في حين خصص الفصل الأول للتطبيق على روايتنا والذي جاء لرصد كينونة الذات المزيفة في الرواية، وركز فيه على صورة الأنا المزيفة، وعلاقة الأنا بالآخر، ومآل الكينونة المزيفة في الرواية، حيث خصص الفصل الثاني لرصد كينونة الذات الحقيقية في الرواية، وركزنا فيه على أثر الكينونة الجديدة على الذات والآخر، وكذا جانب التحولات الفكرية والشعورية في كينونة الذات الحقيقية، وأثر الكينونة الفكرية والشعورية في علاقة الذات مع ذاتها ومع الآخر، أيضا جانب حول إستراتيجية الذات لبناء الكينونة، وجانب آخر حول مرايا الذات في الرواية.

وفي الأخير، توصل البحث إلى خاتمة احتوت على النقاط والنتائج المهمة التي استخلصناها، ولعل أهمها وصول الإنسان إلى تصالحه مع ذاته، وتحصيله السلام الدائم والأبدي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم والقواميس

1- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004م-1425هـ.

2- جميل صلبية: المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني، لبنان، ج2، دط، 1982.

المصادر والمراجع

1- أحمد عبد المجيد : ترنيمة سلام ،ن للنشر و التوزيع، ط2، 2014.

2- إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

3- ابن عربي: فصول الحكمة، تحقيق وجمع وتأليف محمود محمد الغراب، مطبعة زيدين ثابت، دط، 2000.

4- أحمد أبا لمعالي و لد سالم: فينومنولوجيا الأحوال الوجدانية عند هايدغر، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، قسم العلوم الإنسانية والفلسفية، دط، دت.

5- أحمد عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد الناشرون، ط1، 1464هـ-2003م.

6- إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد زهران، مر: لطفي فطيم، عالم المعرفة، دط، دت.

7- إمام عبد الفتاح إمام: كيركجور رائد الوجودية ج2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، دط، 1986.

8- إيريش فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد زهران، مر: لطفي فطيم، عالم المعرفة، دط، دت.

9- إيقور كون: البحث عن الذات – دراسة في الشخصية ووعي الذات، تر: غسان نصر، دار معد للنشر والتوزيع، سوريا، دط، 1992.

10- إيكارت تول: أرض جديدة-كيف تكتشف مغزى حياتك، تر: سامر أبو هواش، مجلة الابتسامة الإلكترونية، دط، دت.

11- بيتر بوير: تدريب المشاعر-دراسة نفسية، تر: إلياس حاجوج، منشورات وزارة الثقافة في الجمعية العربية السورية، سوريا، دط، 2002.

12- جان بول سارتر: الكينونة والعدم-بحث في الانطلوجيا الفينومينولوجية، تر: دنقولا متيني، مر: عبد العزيز العيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009.

13- جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحفني، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1964.

14- جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، تر: كمال يوسف حسني، عالم العرفة، الكويت، دط، 2011.

15- جون ماكوري: الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1982.

16- حامد عمار: دراسات في التربية والثقافة -مقالات في التنمية البشرية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط6، دت.

17- رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصور الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1999.

18- ريجيس جوليفية: المذاهب الوجودية من كيركجورد إلى جان بول سارتر، تر: فؤاد كمال، دار الأدب، لبنان، دط، 1988.

19- ستيفن فروش: المشاعر، تر: أمين كنون، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2017.

20- عبد القادر فيدوح: معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2012.

21-عبد القادر أحمد عطاء: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النايلي، دار الجيل، ط1، 1987.

22-قمر الكيلاني: في التصوف الاسلامي مفهومه وتطوره وأعماله، دار المعارف، مصر، ط2، 1119.

23-كارل غوستاف يونغ: التنقيب في أغوار النفس، تر: نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1996.

24-كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1997.

25-كارل غوستاف يونغ: البنية النفسية عند الإنسان، تر: هاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، دط، 1994.

26-مارتن هيدغر: الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكي، مر: إسماعيل المصدق، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2012.

27-مشال لكروا: عبادة المشاعر، تر: أمين كنون، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2017.

28-وين دبليو داير: سوف تراه عندما تؤمن به-سبيلك إلى التحول الذاتي، مكتبة بريد الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2012.

29-واين داير: رغبات محققة اتقان فن التجلي، تر: محمد ياسر حسكي، منال الخطيب، دار الخيال، ط1، 2015.

30-واين داير: قوة العزيمة: تعلم كيف تتحقق رغباتك بطريقة خاصة، مكتبة جريد، لمملكة العربية السعودية، ط2، 2008.

المجلات والمقالات:

1. شابحة بو عراب: الذات الكيركيكوردية في مواجهة الذات الهيغلية، مجلة نبيل الالكترونية، العدد 6\24، 2018.

مواقع الانترنت:

2. أحمد عبد المجيد، 31 أوت 2020، سا: 15:50

https://www.goodreads.com/ahmad-abdul-majeed

3. أحمد عبد المجيد، 31 أوت 2020، سا: 15:54

https://www.abjjad.com/author/2774597632/احمد-عبد-المجيد/books

4. محمد العصمي: العالم الداخلي للإنسان- النفس psyche، مدونة روح، 08 أفريل 2020، سا 17:00

mudawanat_ruh.blogspot.com

5. كتّاب سطور: مفهوم الوعي واللاوعي، 21 جوان 2020، سا: 20:15

https://sotor.com/مفهوم_الوعي_ واللاوعي